دلائل الحق

أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية

المجموعة التاسعة عشرة

تأليف
مهدي الموسوي الجابري

مركز الدليل العقائدي

مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

هوية الكتاب

عنوان الكتاب:	دلائل الحق ـ أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية
تأليف:	السيد مهدي الموسوي الجابري
مراجعة وتصحيح:	الشيخ تحسين غازي البلداوي
إخراج وتصميم:	صفاء أحمد الشمري
الطبعة:	الثانية
سنة الطبع:	٢٠٢٥ م ـ ١٤٤٦ هـ
الناشر:	مركز الدليل العقائدي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه -التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال- العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع -التصدي للرد على- كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لِبناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس ﷺ حين قال في حديثٍ صحيح: (إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معًا، كهذا الحديث الصحيح: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا،

---

(١) فصلت: ٣٣.

لتضافر نقلها عند جميع الفِرَق الإسلامية - على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد الموحِّدين أميرِ المؤمنين مولانا عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاءت المجموعةُ التاسعة عشرة من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلةٍ من الكتبِ تحت عنوان (دلائل الحق)، آملين أنْ تجدوا فيه ما ينفعُكم في أمور دينِكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أنْ تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائقَ نَفضْنا عنها غبارَ الشُّبهات بعد أنْ أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونرجو أنْ تكون هذه السلسلة نبراسًا لحلِّ ما التبس على بعضِ الناس من مسائلِ العقيدة، وإنارةِ السبيل لهم، وأنْ يجدوا فيها ضالَّتهم، وإجابةَ مسألتِهم.

ونسأل الله أنْ يَجمعَ شمْل المسلمين، ويزيدَ من عوامل التقائهم وأُلْفتِهم، ويجنِّبهم شرّ التطرُّف والمتطرِّفين، وشرّ الكفّارِ والملحدين، وأنْ تكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الكفّار والمنافقين هي السُّفلى.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين، وصلى اللهُ على خير خلقه أجمعين، محمدٍ وآلِه الطيبين الطاهرين.

اللجنة العلمية في مركز الدليل العقائدي

النجف الأشرف

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

هل الأخلاق مجرد أوامر إلهية؟

المستشكل: باسل

الإستشكال: الأخلاق الإسلامية تعتمد على أوامر إلهية وليست نابعة من العقل أو الفطرة الإنسانية، مما يجعلها نسبية ومتغيرة بحسب النصوص. فلماذا تُعتبر أخلاقيات المسلم صحيحة فقط لأنها "أوامر إلهية"، وليس بناءً على قيم إنسانية مشتركة؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

الإشكال الذي تطرحه يقوم على فهم مغلوط لطبيعة الأخلاق الإسلامية، صحيح أن الأخلاق مستمدة من أوامر إلهية، ولكن هذا لا يعني أنها بعيدة عن الفطرة الإنسانية أو العقل، بل على العكس، الشريعة الإسلامية تُقر بأن الأوامر الإلهية تتماشى تمامًا مع الفطرة الإنسانية، التي هي أساس المعايير الأخلاقية في الإسلام، ثم خذ في الاعتبار أن الإسلام لا يفرض أخلاقًا تتناقض مع الفطرة أو العقل، بل هو يضع الأسس التي تضمن تحقيق القيم الإنسانية

في أسمى صورها.

أما بالنسبة لقولك كون الأخلاق الإسلامية "صحيحة فقط لأنها أوامر إلهية"، فالجواب يكمن في أن الإسلام يؤكد على وجود قيم إنسانية مشتركة، ولكنه يرى أن هذه القيم يجب أن تُؤطر ضمن منظومة إلهية تُعطيها معنى وقيمة حقيقية.

بعبارة أخرى، إن القيم الإنسانية لا تكون مستقيمة أو متزنة إلا إذا كانت متوافقة مع إرادة الله سبحانه، لأن الله عزّ وجل هو الذي خلق الإنسان وركب فيه فطرته ووهبه العقل ليكون مرشدًا له، بينما إذا كانت الأخلاق نابعة فقط من البشر دون وحي إلهي، فإنها لا محالة تتغير بتغير الزمان والمكان وتتناقض فيما بينها.

وبالنسبة لفكرة أن "الأخلاق نسبية"، فالإسلام يميز بين المبادئ الأخلاقية التي لا تتغير بمرور الزمن أو بتغير الأماكن والظروف -مثل: العدل، والأمانة، والرحمة، والصدق، فهذه القيم تمثل الأساس الذي يُبنى عليه السلوك الإنساني، وتعدّ معيارًا مشتركًا بين جميع البشر، بغض النظر عن اختلافاتهم الثقافية أو الزمنية- وبين كيفية تطبيق هذه القيم في مواقف وظروف معينة، والتي قد تختلف بحسب الزمان والمكان، فمثلًا، طريقة تحقيق العدل، أو إظهار الرحمة، تتنوع وفق متطلبات العصر والبيئة الاجتماعية.

أما الأوامر الإلهية التي وردت في الكتاب والسنة فهي ليست

عشوائية، بل هي مبنية على حكمة عظيمة تهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

إذًا، الأخلاق الإسلامية ليست مجرد طاعة عمياء، بل هي وسيلة لتوجيه البشر نحو الأفضل والأصح بناءً على المصلحة العليا التي يعلمها الله سبحانه؛ لذلك، لا يمكن اعتبار الأخلاق الإسلامية مجرد أوامر قسرية، بل هي نظام شامل يتوافق مع العقل والفطرة، ويحفظ كرامة الإنسان ويحقق له السعادة الحقيقية في كل زمان ومكان.

قد يُقال: إذا كانت الأخلاق تتماشى مع الفطرة والعقل، فلماذا نحتاج إلى أوامر إلهية لتوجيه الإنسان؟ أ ليست الفطرة والعقل كافيين لخلق نظام أخلاقي مستقل؟

الجواب: نعم، الفطرة والعقل يمكن أن يكونا ركيزة للتمييز بين الخير والشر، ولكن ثمة حدود لما يمكن أن يقدمه كل منهما بدون الإرشاد الإلهي، فالفطرة هي طبيعة الإنسان التي جُبل عليها، وهي تنبئه بما هو جيد أو سيئ، ولكنها قد تكون مشوشة أو مضطربة بسبب التأثيرات البيئية والثقافية.

والعقل -أيضًا- يمتلك قدرة على التفريق بين الأمور، لكنه قد يقع في الخطأ أو يقصر في إدراك الحقائق المبهمة إذا لم يُرشد إلى المسار الصحيح.

فهذا هو السبب في أن الأوامر الإلهية تأتي لتكون موجهة للعقل والفطرة، لتصحيح المسار وضمان أن الإنسان يسير في الطريق الصحيح الذي يضمن له السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

إضافة إلى ذلك، أن البشر مهما بلغوا من تقدم علمي أو فكري، لا يستطيعون تحديد معايير أخلاقية ثابتة في غياب الإرشاد الإلهي، فالقيم الإنسانية تتضارب وتتغير مع تغير الزمان والمكان، فيصبح ما يُعتبر "صوابًا" في زمن ما "خطأ" في زمن آخر، أما الأوامر الإلهية، فهي ثابتة، لأنها تتماشى مع الحكمة الكونية التي لا تتغير بتغير الظروف.

والخلاصة، إن الأخلاق الإسلامية تعتمد على أوامر إلهية تنسجم مع الفطرة والعقل، وتُقدّم منظومة أخلاقية ثابتة وشاملة، وهذه الأوامر ليست تعسفية، بل هي قائمة على حكمة مطلقة تهدف إلى تحقيق السعادة الحقيقية للإنسان، بعيدًا عن النسبية والتقلبات التي تؤدي إلى الفوضى الأخلاقية.

والحمد لله أوّلا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

المهديُّ المنتظر ونزول عيسى بين الحقيقة والادِّعاء

السائل: طالب

الاستشكال: السلام عليكم - ذكَر أحد دُعاة أهل السُّنة: أنّ قضية المهديّ المنتظر هي وسيلةٌ سوَّغت للأُمة الهرب من واقعها العَمَلي وواجبها الإصلاحيّ، فعليها أنْ تجلس، وتنتظر؛ لأنّ الله سبحانه سيبعث لها رجلًا سيتكفَّل بإصلاحها، وهذا أدَّى بها إلى تعطيل واجبها بالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر..

ويقول: إنَّ قضية المهديّ ونزول نبيّ الله عيسى في آخر الزمان هي كذبةٌ يهوديّة ناقَضها القرآنُ بآية ﴿**وكنتُ عَليهِم شَهيدًا ما دمتُ فيهِم فلما تَوفيتَني كُنتَ أنتَ الرَّقيبَ عَليهِم**﴾.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنَّ هذا الطرح يفتقر إلى الدقّة في فهْم العقيدة الإسلامية وسياقها التاريخي والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

والردّ على هذا الادِّعاء يكون بتفنيد مغالطاته من عدة أوجُه:

أولًا: قضية المهديّ المنتظر ليستْ دعوةً للتواكُل أو ترك العمل، بل هي دعوةٌ للاستعداد والتحضير لمشروعِ الإصلاح الإلهيّ الكبير.. وأنَّ مفهوم الانتظار في الفكر الإسلامي لا يعني الجلوسَ مكتوفي الأيدي، بل هو انتظارٌ إيجابيٌّ يقتضي السعيَ للإصلاح على المستويات كافّة، الفردية والاجتماعية؛ لأن الروايات عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام تأمر الشيعة بأنْ يكونوا مثالًا يُحتذى في الإصلاح والعمل والتقوى حتى زمن الظهور، فقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «مَن سرّه أنْ يكون مِن أصحاب القائم فلينتظِر، وليَعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظِرٌ»[١].

فإذا كانتِ الرواياتُ تؤكِّد العمل والإصلاح، فكيف يمكن أنْ تُتهَّم هذه القضيةُ بتعطيل الأمة؟! بل على العكس، هي شحْذٌ لهِمَمها للإصلاح انتظارًا لظهور القيادة الإلهية.

ثانيًا: وجودُ الإمام المهديّ عليه السلام ونزولُ نبيِّ الله عيسى عليه السلام ثابتان بالنُّصوص الشرعية مِن القرآن الكريم والسُّنة النبوية، وقد اتَّفق على ذلك جمهورُ المسلمين.

أما نزولُ نبيِّ الله عيسى، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٢]، وقد

(١) كتاب الغيبة للنعماني، ص٢٠٠، باب ١٠، حديث رقم ١٦.
(٢) الزخرف:٦١.

فَسَّر جمهورُ المفسِّرين الآية بأنها إشارةٌ إلى عودة عيسى عليه السلام في آخر الزمان[١].

وأمّا الإمامُ المهديُّ، فقد وردتْ أحاديثُ كثيرةٌ متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مصادر المسلمين كافّة، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهديّ من عترتي من وُلْد فاطمة»[٢]، وقوله: «لو لم يبقَ من الدُّنيا إلا يوم لطوّل اللهُ ذلك اليوم حتى يَبعث رجلًا من أهل بيتي يواطئ اسمُه اسمي»[٣].

ثالثًا: الآية الكريمة: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[٤]، لا تُناقِض عودة عيسى عليه السلام إلى الأرض، فالآيةُ تتحدَّث عن انتهاء وظيفته الأولى في أنه شاهدٌ على قومه خلال وجوده بينهم، ولا تتطرَّق إلى مسألة عودته في آخر الزمان، وقد أوضح القرآنُ الكريم في مواضع أخرى أنَّ عيسى عليه السلام لم يُقتل، ولم يُصلب، بل رُفِع إلى السماء، وسيعود في وقتٍ يريدُه الله سبحانه، كما في قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[٥].

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري، ج٢١، ص٣٣-٣٤، تفسير سورة الزخرف، الآية ٦١.
(٢) سنن أبي داود، ج٤، ص١٠٧، حديث رقم ٤٢٨٤.
(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص٥٠٥، حديث رقم ٢٢٣٠.
(٤) المائدة:١١٧.
(٥) النساء:١٥٨-١٥٩.

رابعًا: الزعْم بأنَّ قضية المهديّ أدَّت إلى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مغالطةٌ مكشوفة؛ إذ إنّ الشيعة الإمامية، الذين يؤمنون بقضية الإمام المهديّ بنحوٍ راسخ، كانوا في طليعة الحركات الإصلاحية والثوريّة في العالم الإسلامي، مثل ثورة الإمام الحسين عليه السلام وثورات التوّابين ونحوها في مواجهة الظلم والطغيان.

خامسًا: الادِّعاء بأنَّ هذه العقائد مستمَدَّة من اليهوديّة يُناقض الواقع؛ لأن اليهود أنفسَهم لا يعترفون بنزول عيسى عليه السلام، بل يُنكرونه أشدَّ الإنكار.. فكيف تكون عقيدةُ نزول عيسى عليه السلام كذبةً يهودية، وهم لا يؤمنون بها أصلًا؟!

وخلاصةُ القول أنّ قضية الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف ونزول عيسى عليه السلام ليستْ دعوةً للتواكُل، بل هي عقيدةٌ رساليّة تدفع المسلمين للعمل والإصلاح، ومَن يتَّهمها بالتعطيل أو يجعلها كذبة يهودية إنما يجهل حقيقة النصوص القرآنية والحديثية والتاريخ الإسلامي.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

الإمامُ المهديُّ عجل الله تعالى فرجه الشريف بين حقيقة النصِّ ووهْم المشكِّكين

المستشكل: غيدار محمد

الإشكال: مسألة النصّ على الأئمة تؤول بالشُّيعة إلى التمسك بما لا يستند إلى دليلٍ واقعي، حيث إنّ الاعتقاد بوجود اثني عشر إمامًا محدَّدين - على وفق النصوص المزعومة - قادهم إلى الإيمان بإمامٍ منتظَرٍ لا يظهرُ له أثرٌ، ولا يُسمع له صوت، ولا يوجد دليلٌ ملموس على وجوده. ولو كانت البشرية بحاجةٍ ماسّة إليه، لكان رسولُ الله، وهو خيرٌ منه، باقيًا بينهم. غير أنّ الأمة تجد كفايتها وهدايتها في كتاب الله وسُنّة نبيه، دون الحاجة إلى انتظارٍ موهومٍ أو كتابٍ لا أصل له.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ مسألة النصِّ على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ليستْ وهمًا أو خيالًا كما يدّعي المُرجِفون، بل هي حقيقةٌ ثابتةٌ بيّنها القرآن الكريم، وأكَّدتها السُّنة النبوية الشريفة بلسانٍ صريحٍ لا لَبسَ فيه.

أولًا: النصّ على الأئمة:

من نافلة القول: إن الإمامة هي امتدادٌ للنبوة في حفظ الدين وهداية الأمة، فالقرآنُ الكريم قد نصَّ على وجود الأئمة الهُداة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[١]، وبيّن أنّ الأرض لا تخلو من حجةٍ لله على خلقه: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢].

أما السُّنة النبوية، فقد صدع النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأحاديثَ صريحةٍ تُثبت أنَّ خلفاءه اثنا عشر، لا يزيدون، ولا ينقُصون، كما في قوله: «لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة. أو يكون عليكم اثنا عشر خليفةً، كلهم من قريش»[٣]. وهذه النصوص، إذا لم تحمل الأمةَ على الإيمان بوجود هؤلاء الأئمة، فما الذي يُطلب من الوحي أكثر بيانًا من هذا؟!

ثانيًا: قضية الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف

أما ما يُثار حول المهديّ المنتظر عليه السلام بوصفه وهمًا أو خيالًا، فهو دليلٌ على جهل قائله بتواتر النصوص الشرعيّة التي ذَكرتِ الإمامَ المهديَّ في كتب المسلمين جميعًا. فقدْ أجمع علماء الإسلام، من السُّنة والشيعة، على أنَّ الإمام المهديَّ عليه السلام سيظهر

---

(١) الأنبياء:٧٣.

(٢) الرعد:٧.

(٣) صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٥٣.

في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا.

قال ابن حجر في "فتح الباري": «تواترتِ الأخبار بأنَّ المهديَّ من هذه الأمة، وأنَّ عيسى يصلِّي خلفه»[١].

وصرّح الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" قائلًا: «إنكارُ خروج المهديِّ إنكارٌ لما تواتر به النقل، وهذا لا يفعله إلا جاهلٌ أو مكابرٌ»[٢].

ثالثًا: الحكمة من الغَيبة:

إنَّ غَيبة الإمام المهديّ عليه السلام ليستْ من عند نفسه، بل هي مشيئةٌ إلهيةٌ اقتضتها الحكمة بعد أنْ فشلت الأمةُ في حفظ الأئمة السابقين الذين تعرَّضوا للقتل والتضييق والغدر.. وهذه الغَيبة ليست عجزًا، بل هي مرحلةُ اختبارٍ وتمحيصٍ للأمة حتى تستعدَّ لظهوره المبارك، فقد قال الإمامُ الصادق عليه السلام: «أمَا واللهِ لَيغيبَنَّ إمامُكم سنينًا من دهركم، ولَتُمحَّصُنَّ حتى يقال: مات أو هلك، بأيِّ وادٍ سلك؟»[٣].

---

(١) فتح الباري، ج٦، ص٤٩٤.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤، ص٤٣.
(٣) الكافي، ج١، ص٣٣٦.

رابعًا: القرآنُ والسُّنة لا يُغنيان عن الإمام:

إنَّ الادِّعاء بأنَّ الأمة مستغنيةٌ عن الإمام بالقرآن والسُّنة فيه جهلٌ بوظيفة الإمام، فالقرآنُ نفسه أكَّد ضرورة وجود مُفسِّرٍ معصوم يحفظه من تحريف التأويل، قال تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[١].. والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نصّ على هذا المعنى في حديث الثقلين: «إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسَّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدًا»[٢].. فكيف يستقيم القول باستغناء الأمة عن الإمام، وهو أحدُ الثقلين اللذَين لن يفترقا حتى قيام الساعة؟!

خامسًا: أثر الإمام في غَيبته:

إنَّ وجود الإمام في غَيبته هو لطفٌ إلهي، وغيابه لا يعني انعدامه أو عدم تأثيره. فكما أنّ الشمس خلف السحاب تفيض بأشعَّتها وإنْ لم تُرَ مباشرة، كذلك الإمامُ المهديّ عليه السلام يفيض بهدايته على المؤمنين، ويحفظ الأمة برعايته، كما ورد في الحديث: «لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت»[٣].

وادّعاء أنَّ بقاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أولى؛ لأنه أفضل، هو اعتراضٌ على حكمة الله سبحانه، الذي اختار أنْ يُكمّل الدين بولاية الأئمة عليهم السلام

---

(١) النحل: ٦٤.
(٢) صحيح الجامع الصغير، للألباني، ج١، ص٤٨٢.
(٣) الكافي، ج١، ص١١٨.

بعد رسول الله.. فإنْ كان الله قد اختار أنْ تكون الهداية الإلهية مستمرّة بخلفاء منصوصٍ عليهم، فمَن نحن لنناقش هذا التقدير الإلهي؟!

سادسًا: ظهور الإمام مرتبطٌ بتهيُّؤ الأمة:

إنّ ظهور الإمام المهديّ عليه السلام لا يتوقَّف على مشيئة الإمام فحسب، بل على استعداد الأمة لقبول عدله والالتفاف حوله. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

والخلاصة أنّ الإيمان بالإمام المهديّ عليه السلام ليس وهمًا ولا خيالًا، بل هو عقيدةٌ راسخة أسَّسها القرآنُ، وأكَّدتْها السُّنة، ووافقتْها العقول المستنيرة.. وأما التشكيك فيها، فهو نتيجة انحرافٍ فكريٍّ أو قصورٍ معرفي ينبغي تصحيحُه بالرجوع إلى الحقائق الناصعة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

(١) الرعد: ١١.

معيّة الصادقين في سورة التوبة ودلالات الصدق في سورتَي الحشر والحجرات

السائل: حيدر الخفاجي

السؤال: لطفًا إذا أمكن. بيِّنوا لنا ما الفارق بين سورة التوبة آية ١١٩ ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾. وهي تعني الكون مع فئةٍ معصومة، وحسب روايات أهل البيت هم الأئمة الاثنا عشر *وبين الآيات في سورة الحشر آية ٨ وسورة الحجرات آية ١٥، وجاءت بلفظة الصادقين. ما هو المائز للتفريق بين الفئتين. وبعبارةٍ أخرى: الله أطلق على كلا الفئتين "صادقين". ولكم منّي كل الحبّ والاحترام والتقدير.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

الفرق بين مفهوم الصدق في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1]، وبين ما ورد في سورتَي الحشر والحجرات، يتجاوز اختلافَ السِّياق والمصداق إلى اختلافٍ جوهريٍّ في طبيعة الصِّدق الذي تتناوله كلُّ آية.

(١) التوبة:١١٩.

فالصدق في آية سورة التَّوبة يشير إلى الصدق الكامل الذي يتمثَّل في عصمة أهل البيت عليهم السلام، إذ إنهم يمثِّلون الحقَّ في القول والعمل والمعتقَد، وقد ورد في تفاسير كبار علماء أهل السُّنة والشيعة ما يشير إلى أنَّ الصادقين في هذه الآية هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام، الذين أوجب الله على عباده أنْ يكونوا معهم؛ لأنهم يمثِّلون الصدق التّام في الدِّين والدنيا، ويكون الالتزام بهم التزامًا بمنهج الحقِّ الذي لا لبْس فيه.

قال الفخر الرازي في تفسيره: «إنّه تعالى أمَر المؤمنين بالكون مع الصّادقين. ومتى وجب الكونُ مع الصّادقين فلا بدّ من وجود الصادقين في كُلّ وقتٍ... فإنْ قيل: لِمَ لا يجوز أنْ يقال: إنّ المراد بقوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أيْ كونوا على طريقة الصّادقين؟ كما أنّ الرجل إذا قال لولده: كنْ مع الصالحين، لا يفيد إلّا ذلك.

سلَّمنا ذلك، لكنْ نقول: إنّ هذا الأمر كان موجودًا في زمان الرسول فقط، فكان هذا أمرًا بالكون مع الرسول، فلا يدلّ على وجود صادقٍ في سائر الأزمنة.

والجواب عن الأول: أنّ قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أمرٌ بموافقة الصّادقين، ونهيٌ عن مفارقتهم، وذلك مشروط بوجود الصّادقين. وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب. فدلّت هذه الآية على وجود الصّادقين.

وقوله: إنّه محمولٌ على أنْ يكونوا على طريقة الصّادقين، فنقول: إنّه عدولٌ عن الظاهر من غير دليل.

قوله: هذا الأمر مختصٌّ بزمان رسول الله عليه الصلاة والسلام. قلنا: هذا باطلٌ لوجوهٍ: الأول: أنّه ثبَت بالتواتر الظاهر من دين محمدٍ (عليه الصلاة والسلام) أنّ التكاليف المذكورة في القرآن متوجِّهة إلى المكلَّفين إلى قيام القيامة، فكان الأمرُ في هذا التكليف كذلك.

الثاني: أنّ الصيغة تتناول الأوقات كلَّها بدليلِ صحة الاستثناء.

الثالث: لمّا لم يكن الوقت المعيَّن مذكورًا في لفظ الآية، لم يكنْ حمل الآية على البعض أَولى من حمله على الباقي، فإما أنْ لا يُحمَل على شيءٍ من الأوقات، فيُفضي إلى التعطيل، وهو باطلٌ، أو على الكلّ، وهو المطلوب.

الرابع: وهو أنّ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمْرٌ لهم بالتَّقوى، وهذا الأمر إنّما يتناول مَن يصحّ منه أنْ لا يكون متَّقيًا، وإنما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالّة على أنّ من كان جائزَ الخطأ وجب كونُه مقتديًا بمن كان واجب العصمة، وهم الذين حكَم اللهُ بكونهم صادقين. فهذا يدلّ على أنّه واجبٌ على جائز الخطأ؛ لأنه مع المعصوم عن الخطأ، حتى يكون المعصوم عن الخطأ مانعًا لجائز الخطأ عن الخطأ. وهذا المعنى

قائمٌ في جميع الأزمان، فوجب حصوله في كُلّ الأزمان»[١].

أما الصدق الذي ورد في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٣]، فهو يعبِّر عن الصّدق النسبيّ الذي يظهر من التزام المؤمنين الصادق بأعمالهم وتضحياتهم وإخلاصِهم في نُصرة الدِّين، فالصدق هنا يعكس الإخلاص والعمل في نطاقٍ محدودٍ، لكنه لا يصل إلى كمال الصدق الذي يتمثَّل في العصمة.

وعليه، فإنّ الصدق في آية سورة التوبة يتعلَّق بمقام العصمة الذي يختصُّ بأئمّة أهل البيت عليهم السلام، بينما يشير الصدق في سورتَي الحشر والحجرات إلى صفةٍ يتحلّى بها المؤمنون نتيجة إخلاصهم وعملهم الصالح، لكنها لا تصل إلى مقام الكمال المطلق.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

(١) تفسير الرازي، ج١٦، ص١٦٦-١٦٧.
(٢) الحشر:٨.
(٣) الحجرات:١٥.

وجوبُ معرفة علامات الظهور، إرشادٌ أم إلزام؟

السائل: محمد الزركاني

السؤال: في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام "اعرف العلامة، فإنك إنْ عرفتَها لم يضرّك تقدَّم الأمرُ أم تأخَّر" فهل هذه الرواية تفيد الوجوب في معرفة فوائد علامات الظهور؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

نصُّ الرواية من كتاب الكافي: «علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب عن عمر بن أبان، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: اعرف العلامة، فإذا عرفتها لم يضرّك، تقدَّم هذا الأمر أو تأخّر، إنّ الله عزّ وجل يقول: "يوم ندعو كلَّ أناس بإمامهم" فمن عرف إمامَه كان كمن كان في فسطاط المنتظَر عليه السلام».

وقد جاء في هامش التحقيق للكافي (دار الحديث)، ج٢،

ص٢٥٢: «في الوافي: «يعني بالعلامة الإمام كما ورد عنهم عليهمُ السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1] أنّ العلامات هم الأئمّة، والنجم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله. أو يعني بها علامة الإمام ونعتَه المختصّ به، وأنّه مَن وابنُ مَن. وفي نسخة الشيخ الشهيد الثاني: «اعرف الغلام» يعني المهديّ عليه السلام، فإنّه قد مضى ذكرُه بهذا العنوان». وفي مرآة العقول: "قد يُقرأ: العلّامة، بتشديد اللام، فالتّاء للمبالغة"».

هذا فضلًا عن سند الرواية حيث تضمّن راويًا ضعيفًا هو (سهل بن زياد)، مما يجعل الرواية غير معتبَرة بذاتها من حيث السند على وفق المباني الرجاليّة.

والجواب: على فرض الصحة السنديّة، وأنّ المقصود بالعلامة علامة الإمام عليه السلام، فالرواية تحمل توجيهًا واضحًا نحو قيمة معرفة علامات ظهور الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبالتأمُّل في هذه الرواية، يتّضح أنّ الأمر الوارد فيها لا يفيد الوجوب بمعنى الإلزام الذي يُرتِّب المؤاخذة على التّرك، بل يشير إلى وجوبٍ إرشاديّ.

الدليل على ذلك أنّ الرواية لا تتضمّن أيَّ قرينةٍ تشير إلى ترتُّب الإثم أو العقوبة على من يترك معرفة العلامات، مما يُخرِجها عن سياق الأحكام الشرعيّة الإلزامية، بل يَظهَر من مضمون الرواية أنّ الغاية من الأمر بالمعرفة هو حفظ عقيدة المؤمن وثباته في

(١) النحل:١٦.

مواجهة الفِتن التي قد تطرأ بسبب تأخُّر الظهور أو الادّعاءات الكاذبة، وهذا يدخل في إطار الإرشاد الذي يوجِّه المؤمن نحو ما يحقِّق ثبات عقيدته واتّزانها.

فالإمام عليه السلام يربط بين معرفة العلامة وحالة الاستقرار النفسيّ والاعتقاديّ، بقوله: "لم يضرَّك تقدَّم الأمرُ أم تأخّر"، مما يدلّ على أنّ الغاية من معرفة العلامات هي تجنُّب الاضطراب والحيرة، فلو كان الأمر متعلِّقًا بوجوبٍ شرعيٍّ، لاقتضى وجود نصوصٍ أخرى تفيد الإلزام التشريعيّ وترتُّب العقوبة على الجهل بالعلامات، وهو ما لا نجدُه في هذا السياق ولا في غيره.

إذن، يتبيَّن أنَّ وجوب معرفة العلامات وجوبٌ إرشاديٌّ، يستند إلى المصلحة الاعتقاديّة للمؤمن، حيث إنّ إدراكها يُسهِم في تحصين العقيدة والوقوف بثباتٍ أمام الفِتن التي قد تواجِه المنتظِرين لظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

هل الإسلام يبالغ في توصيف المعاصي؟!

الاستشكال: الإسلام يُبالغ في توصيف المعاصي كالكفر والفسوق، مما يولّد حالة من الخوف والذنب الدائم. لماذا لا يُركّز الإسلام على الخُلُقيّات الإيجابية بدلًا من التركيز على معاقبة الأخطاء؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

الإسلام لا يُبالغ في توصيف المعاصي بهدف إثارة الخوف أو الشعور بالذنب بلا غاية، وإنما تُعدُّ هذه المفاهيم وسائل تربويّة تهدف إلى تنبيه الإنسان ودفعه لمراجعة نفسه والسعي إلى الإصلاح؛ ولأن الشريعة الإسلاميّة تنطلق من فهمٍ دقيق للطبيعة البشريّة التي تميل إلى الخطإ، فقد فتحت باب التوبة والمغفرة على مصراعَيه، الأمر الذي يُظهِر انسجامًا في الإسلام بين التحذير من المعاصي من جهةٍ، والتشجيع على الأعمال الصالحة من جهةٍ أخرى.

أما فيما يخصُّ العقوبات، فمن اللافت أنّ النظُم العلمانية تُقرُّ العقوبات، وتفرضها على مجتمعاتها باعتبارها وسائل للردع والحفاظ على النظام، بينما تُوجِّه النقد للإسلام لتطبيقه العقوبات، متهمةً إيّاه بأنه يسعى فقط إلى العقاب دون غايةٍ ردعية. فأيُّ تناقض هذا في المعايير؟!

إننا نجد أنَّ كل المجتمعات -بما فيها الأنظمة العلمانية- تعتمد على العقوبات لضمان الالتزام بالقوانين وحماية النظام العامّ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك العقوبات الصارمة التي تُفرَض في الأنظمة العلمانية، مثل السجن والغرامات، لضمان الالتزام بالقوانين، كما هو الحال في معاقبة مخالفات المرور التي تهدف إلى الحفاظ على سلامة الأفراد.. وعلى ذات النحو تسعى العقوبات الإسلاميّة إلى ردع الأفعال التي تضرُّ بالفرد والمجتمع، وليس مجرَّد إثارة الخوف.

وفضلًا عن ذلك، فإنّ الإسلام لا يقتصر على العقوبات فحسب، بل يُولي قيمة كبيرة لنشر الخُلُقيّات الإيجابية وبثّ الفضائل في المجتمع، فهو يشجِّع على الصدق، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[1]، ويدعو إلى الأمانة، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[2]، ويُحثُّ على الإحسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) الأحزاب: ٢٤.
(٢) النساء: ٥٨.

﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[١]، ويأمر بالتعاون على الخير، حيث قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢].

وعليه، فإن الإسلام يُمثل نهجًا تربويًّا متكاملًا يجمع بين حماية المجتمع من الانحراف من ناحية، وغرس القِيَم الفاضلة التي تُسهِم في رُقيِّ الفرد والمجتمع من ناحية أخرى.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلام على من نزّل القرآن على صدره، فبلّغه إلى أمته، وعلى آله المعصومين الذين بيّنوا ما أَمر الله به.

(١) النحل: ٩٠.
(٢) المائدة: ٢.

المِثليّة من التصنيف المرضي إلى الترويج الأيديولوجي: كيف ولماذا؟

السائل:.....

السؤال: العلم يقول: إنَّ المِثليّة ليست مرضًا ولا شذوذًا، بل هي جزءٌ طبيعيّ من التنوُّع البشري، وهناك دراساتٌ كثيرة تؤكِّد أنَّ الميل المثليّ له عوامل بيولوجيّة ونفسيّة، فلماذا تُصرُّون على اعتبارها انحرافًا أو خطأ؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

وهل أصبح "العلم" في قاموسك مجرَّد مطيّة لتبرير الأهواء والانحرافات، يُستشهَد به حين يخدم أجندتك، ويُهمَل حين يناقضها؟ إنْ كنت تزعم أنّ المِثليّة "جزءٌ طبيعي من التنوُّع البشري" لمجرَّد أنّ هناك دراسات تدَّعي وجود عوامل بيولوجية ونفسيّة لها، فهل ستقبل بالمنطق نفسه حينما تُجرى دراسات أخرى تثبِت أنّ السلوك الإجراميّ أو الخيانة الزوجية أو حتى الاعتداء على الآخرين قد تكون له أسبابٌ جينيّة ونفسية؟ هل ستعدُّها "جزءًا

من التنوُّع البشري" ويجب القبول به، أم أنك ستضع حدودًا للأخلاق والسلوك؟

ثم أيّ "علم" هذا الذي تستشهد به؟ هل هو ذلك العلم الانتقائيّ الذي يخضع للضغوط السياسية والإعلامية؟ ألم يكن العلمُ نفسه الذي تستشهد به اليوم يصنّف المِثليّة على أنها اضطرابٌ نفسي قبل بضعة عقود فقط، قبل أنْ تُفرض عليه أجندات المنظَّمات الحقّوقية والضغوط الأيديولوجية لتُحذَف من قوائم الأمراض؟

أليس حذف المِثليّة من التصنيفات المرضيّة عام ١٩٧٣ في الجمعيّة الأمريكية للطبِّ النفسي، وعام ١٩٩٢ في منظمة الصحة العالمية، لم يكن نتيجة اكتشافٍ علميّ حقيقي، بل بفعل ضغوط جماعاتِ الضغط المثليِّ؟ هل أصبح العلم لعبة في يد التيارات الأيديولوجيّة حتى نأخذ منه ما يُمليه المزاجُ السياسي، ونرفض ما يتناقض مع مصالحهم؟

بل دعني أسألك: إذا كانت المِثليّة "طبيعية"، فلماذا تتعارض مع الفطرة السليمة للإنسان التي تدفعه للتكامل بين الذكر والأنثى في بناء الأسرة واستمرار الحياة؟ هل رأيت قانونًا طبيعيًّا واحدًا في الكائنات الحيّة يقوم على هذا الانحراف؟ حتى الحيوانات التي تحاولون أحيانًا الاستشهاد بسلوكيّات شاذة فيها، لا تجعل المِثليّة نظامًا حياتيًّا مستقرًّا، بل تبقى مجرَّد حالاتٍ اضطرابيّة

نادرة.. فكيف يكون الشذوذ طبيعيًّا بينما يؤدِّي إلى استئصال الفطرة وتعطيل الوظيفة البيولوجية للإنسان؟

أما حديثك عن العوامل البيولوجيّة والنفسية، فحتى لو افترضنا - جدلًا - أنّ هناك استعدادات وراثيّة أو بيئية تؤثِّر على التوجُّهات الجنسية، فهل هذا يعني أنّ كل ما هو موروثٌ أو متأثر بالعوامل الخارجية يصبح مبرَّرًا خُلُقيًّا؟ هل هذا يبرِّر للمريض النفسي أنْ يؤذي الآخرين؛ لأنه "ولد هكذا"؟ هل يبرِّر للمنحرفين سلوكهم؛ لأن لديهم "دوافع جينية"؟ فالإنسان ليس حيوانًا محكومًا بغرائزه، بل كائنٌ عاقل قادر على التحكُّم في سلوكياته وضبطها على وفق القِيَم الخُلُقيّة والفطرية.

وإذا كنتَ تدّعي أنّ المِثليّة ليستْ خطأ، فلماذا نجد آثارها المدمِّرة على المجتمعات التي تبنّتها؟ لماذا ترتفع نسب الاكتئاب والانتحار بين المِثليِّين على رغم كل الدعم السياسي والإعلامي لهم؟ لماذا تنتشر بينهم الأمراض الجنسيّة بنسبٍ مهولة على رغم كل "التوعية" الصحية؟ لماذا لا نرى في المجتمعات التي شرّعت المِثليّة استقرارًا أُسْريًّا ولا زيادة في معدَّلات الإنجاب، بل على العكس من ذلك، نرى انحدارًا خُلُقيًّا وانحلالًا قيميًّا؟ هل هذه هي "الطبيعة" التي تتحدَّث عنها؟!

الحقّيقة أنك لا تستشهد بالعلم، بل توظِّفه لخدمة انحرافٍ فكريّ تريد فرضه على المجتمعات، لكنك مهما حاولت تغيير

المصطلحات وتزييف الحقائق فلن تغيِّر من واقع الأمر شيئًا: المِثليّة انحراف عن الفطرة، وجريمة خُلُقيّة، وإنْ حاولتم تبييضها بشعاراتٍ زائفة، فالحقّ يبقى حقًّا ولو كره المنحرفون!

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

تقبيل ضريح الحسين عليه السلام ميثاق ولاء وعهدٌ على البقاء مع الحقِّ

المستشكل: غانم سلامة

الاستشكال: لماذا يصرّ الشيعة على تقبيل ضريح الإمام الحسين عليه السلام وغيره من أضرحة الأئمّة، مع أنّ هذا الفعل لم يكن من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا الصحابة؟ أليس هذا من الغلوّ الذي نهى عنه الإسلام؟ وإذا كان القبر مجرَّد مكانٍ لدفن الميت، فما الحاجة إلى تقبيله والتبرُّك به؟ أليس هذا نوعًا من البِدعة التي لم ترِدْ في الكتاب ولا في السُّنة؟ بل أليس هذا الفعل شبيهًا بما كان يفعله أهل الجاهليّة حين كانوا يتمسَّحون بأحجارهم، وهو ما جاء الإسلام ليُبطِله؟ وإذا كان هذا القبر مجرَّد ترابٍ، فكيف يصبح موضعًا للتبرُّك، والله وحده هو الذي يمنح البركة؟ وهل ثبت أنّ الصحابة كانوا يقبِّلون قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو يتمسَّحون به؟ وإذا كان هذا الفعل خيرًا، فلماذا لم يفعله أبو بكر وعمر وسائر الصحابة؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

عجيبٌ أمركم! تحاولون منع الناس من تقبيل ضريح الحسين عليه السلام والتبرُّك به، وكأنكم أعلم بالله من النبيّ نفسه، وكأنكم حرّاسٌ على عقيدة المسلمين بلا دليلٍ ولا برهان! هل صارت محبَّتنا لأولياء الله فجأة بِدعة؟ وهل أصبح التوسُّل بعباد الله الصالحين غلوًّا عندكم، بينما أنتم تركعون أمام قبور رموزكم بلا اعتراضٍ؟ إنْ كان لمس القبر أو تقبيله شِركًا، فهل ستتجرأون على تكفير عمر بن الخطاب الذي قبّل الحجر الأسود، وقال: «والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ، ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي يقبِّلك ما قبَّلتك»[1]؟ أو إنكم لا تستيقظون إلا عندما يكون التقديس للحسين وأهل بيت النبي؟!

ثم تعالَ، وفكّر بعقلك قليلًا: إذا كان الحجر الأسود مجرَّد حجرٍ، فكيف شرّع النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقبيله؟ أليس هذا تناقضًا مع ادِّعائكم أنّ الجمادات لا تُقبَّل، ولا يُتبرَّك بها؟ وهل عندكم حجارةٌ مقدَّسة وحجارة محرَّمة، حسب الأهواء؟ أو إنّ مشكلتكم ليست مع التقبيل، بل مع من يُقبِّل ضريحُه؟

أما احتجاجكم بأنّ الصحابة لم يفعلوا ذلك، فهو دليلٌ على ضعف حجَّتكم؛ لأنكم تعلمون جيِّدًا أنّ الصحابة كانوا يحرصون على التبرُّك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد وفاته، وقد ثبت في كتبكم أنّ الصحابة كانوا يأخذون من وضوئه، ويتمسَّحون بثيابه، بل ويتبرَّكون

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص٥٧٩، ح١٥٢٠.

بشَعره وأظفاره، وأكَّد ذلك الشيخ ابن عثيمين في كتابه "شرح رياض الصالحين" بقوله: «وقد كان الصحابة يتبرَّكون بعرَق النبي صلى الله عليه وسلم، ويتبرَّكون بريقه، ويتبرَّكون بثيابه، ويتبرَّكون بشَعره»[١]، فهل كان النبيّ يربِّي فيهم الشِّرك؟ أو إنكم تُنكرون أحاديثكم؛ لأنكم لا تحتملون أنْ يكون التبرُّك بأهل البيت عليهم السلام مشروعًا؟

ثم لنكشف لكم تناقضَكم الأكبر: عندما يأتي الناس لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، هل تمنعونهم من التوسُّل به؟ إذا كنتم تمنعونهم، فقد خالفتُم الأمّة كلَّها، وإنْ كنتم تسمحون بذلك، فلماذا تُنكرون التبرُّك بمرقد الحسين عليه السلام وهو الذي قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «حسينٌ مني، وأنا من حسين»[٢]؟ أم إنّ قلوبكم لا تحتمل أنْ يبقى للحسين ذكرٌ بين المؤمنين؟

وإذا كنتم تعترضون على التبرُّك بأضرِحة الصالحين، فكيف لا تعترضون على زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ وإذا كنتم تقولون: هذا القبر مجرَّد ترابٍ، فهل النبيّ مدفون في مجرَّد ترابٍ أيضًا؟ هل صار كل مقدَّس عند المسلمين عندكم مجرَّد ترابٍ؟ أو إن معاييركم تختلف حسب أهوائكم؟

إنّ مشكلتكم الحقيقيّة ليستْ مع التقبيل، وليست مع التبرُّك، بل مع الحسين عليه السلام نفسِه؛ لأنّ قبره يمثِّل ثورةً لا تهدأ، وصوتًا

---

(١) شرح رياض الصالحين، ج٤، ص٢٤٣.
(٢) سنن الترمذي، ج٥، ص٦٥٨، ح٣٧٧٥.

يقضُّ مضاجع كلِّ ظالم، وأنت تعلم قبل غيرك أنّ هذه الدمعة على الحسين لن تنطفئ، وأنّ تقبيل ضريحه ليس مجرَّد عادةٍ، بل هو ميثاق ولاء، وعهدٌ على البقاء مع الحقِّ مهما حاولتُم طمسه.. فحاولوا كما شئتم، فالحسينُ باقٍ، وزوّاره بالملايين، وضريحه أطهر من أنْ تناله سهامُ حقدِكم!

والحمد لله أوّلا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

ولادةُ أمير المؤمنين عليه السلام في الثالث عشرَ من رجب، الرواية المتواترة

السائل: الشيخ حسين آل حمدي
السؤال: ذكر شيخُ الطائفة الطوسيّ عليه الرحمة والرضوان أنه روى صفوان الجمّال عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: وُلِد أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الأحد لسبعٍ خلون من شعبان. مصباح المتهجِّد الشيخ الطوسي ص ٨٥٢.
ما قولُكم ورأيكم وتعليقكم على هذه الرواية القائلة بولادة أمير المؤمنين عليه صلوات المصلِّين في ٧ شعبان المعظم؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنَّ الرواية التي نقلها شيخُ الطائفة الطوسيّ قدس سره في مصباح المتهجِّد حول ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في السابع من شعبان، وإنْ كانت مذكورةً في كتابه، فإنها رواية شاذّةٌ، تخالف المشهور والمتواتر عند الشيعة الإماميّة، بل وتخالف ما أجمعتْ عليه كتب السِّيَر والتاريخ والحديث عند الخاصّة والعامّة، حيث ثبت أنّ

ولادته عليه السلام كانت في الثالث عشر من شهر رجبٍ داخل الكعبة المشرَّفة.

فالمعتمَد عند الإماميّة، بل حتى عند جمهور المسلمين، أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وُلِد يوم الجمعة ١٣ رجب سنة ٣٠ بعد عام الفيل داخلَ الكعبة، وهذه الرواية ثابتةٌ بكثرة النقل والتواتر المعنويّ في المصادر المعتبَرة، مثل:

١- الإرشاد للشيخ المفيد.

٢- الكافي للكلينيّ.

٣- المناقب لابن شهرآشوب.

٤- بحار الأنوار للعلّامة المجلسيّ.

٥- كشف الغُمّة للإربلّي.

٦- مروج الذهب للمسعوديّ.

وهذا التاريخ هو الذي جرى عليه الشيعة في إحياء ذكرى مولده عليه السلام على مَمرّ العصور، ووافقهم عليه كثيرٌ من مؤرِّخي أهل السُّنة أيضًا، ومنهم الحاكم النيسابوريّ في المستدرَك، وابن الصبّاغ المالكيّ في الفصول المهمّة، وابن الجوزي في التذكرة، والسيوطيّ في تاريخ الخلفاء، وغيرهم.

أما رواية صفوان الجمّال عن الإمام الصادق عليه السلام في أنّ ولادته عليه السلام كانت في ٧ شعبان، فمع كونها شاذّة ومخالِفة للمحفوظ عند الشِّيعة، فإنها قد تكون من الأخطاء النَّسخيّة أو السهو في النقل، وهذا ليس بغريبٍ، فقد وقع مثل ذلك في بعض كتب التراث، ولا يمكن أنْ نطرح الروايات المتواترة الثابتة لأجل رواية آحادٍ لم يَثبت صحّتها، ولم يَعمل بها علماؤنا الأجلّاء.

وعليه، فإنّ هذه الرواية لا يُعوَّل عليها في مقابل التّواتر القطعيّ عند الإماميّة وأعلام التاريخ والحديث، ويبقى يوم الثالث عشر من شهر رجب هو التاريخ الصحيح والثابت لمولد أمير المؤمنين عليه السلام، كما نصّ عليه المؤرِّخون والمحدِّثون من الفريقَين.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

زيارة الحسين عليه السلام، بابٌ للتوبة أم ذريعةٌ للمعصية؟

المستشكل: أبو هيثم الهيتي

الإستشكال: رواياتكم تَذكُر أنّ زيارة الحسين رضي الله عنه تغفر الذنوب، ما تقدَّم منها وما تأخَّر، وهذا يعني أنّ الإنسان يُصبح حرًّا في فعل ما يشاء بعد الزيارة؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ مَن يتصدّى لمناقشة أحاديث أهل البيت عليهم السلام دون أنْ يفقه منهجهم، ولا يعرف سياقات كلامهم، ولا يتذوَّق معاني ولائهم، فلا عجب أنْ يقع في إشكالاتٍ واهيةٍ كهذه، التي لا تعدو كونها سوء فهْمٍ ناشئٍ عن القراءة المجتزَأة للنصوص، أو عن تحميلها ما لا تَحتمِل من معانٍ بعيدةٍ عن مراد المعصوم.

إنك تتوهَّم أنّ المغفرة التي وردت في رواياتنا بشأن زيارة سيِّد الشهداء عليه السلام تعني تفويضًا مفتوحًا للزائر، ورفعًا للحساب

عنه بعد الزيارة، كأنها صكٌّ يُجيز له اقتراف المعاصي كيفما شاء، وتلك لعمري قراءةٌ ساذجةٌ لا يقرُّها عقلٌ، ولا يقبلها فكرٌ تأدَّب في مدرسة أهل العصمة عليهم السلام. فإنك إنْ كنتَ تطلب الحقَّ، فأعِرْني سمعك وفتْح بصيرتك، لأكشف لك عن بطلان هذا الإشكال من أساسه.

أما أوّل ما يجب أنْ تعلمه، فهو أنّ المغفرة التي وعدتْ بها هذه الروايات ليستْ عمليّةً آليةً تُعطى لكلِّ من ذهب بقدمَيه إلى قبر الحسين عليه السلام، بل هي لُطفٌ إلهيٌّ مشروطٌ بإخلاص النيّة، وصفاءِ القلب، وصدق التوبة، والزيارة عن معرفةٍ وبصيرةٍ. وهل تظنّ أنّ الله سبحانه -وهو أعدل العادلين- يغفر لمجرَّد المشي، دون أنْ يكون في قلب العبد يقظةٌ وندمٌ ورغبةٌ في إصلاح النفس؟! إنك تخلط بين الرحمة الإلهيّة التي تتنزَّل على أهل التوبة، وبين تصوُّرك الخاطئ عن المغفرة المطلقة بلا حسابٍ، وهو خلطٌ ناشئٌ عن الجهل بحقائق الدين.

ثم إنّ هذه الروايات قد قيَّدت المغفرة بقيدٍ جليٍّ لا يخفى على مَن له أدنى تأمُّل، إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَن زار الحسين عارفًا بحقِّه غفر اللهُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر»، فهل المعرفة بحقِّ الحسين عليه السلام تعني مجرَّد الذهاب إلى كربلاء جسدًا بلا روح؟! أو أنّ المراد بالمعرفة هو استيعاب مقام الحسين عليه السلام، والإيمان بقضيّته، والارتباط بمبدئه ونهجه، والتحوُّل الداخليّ

الذي يجعل الزائر رجلًا جديدًا، مقبلًا على الطاعة، نافرًا من المعصية؟! فإنك إنْ كنت تظنّ أنّ هذه المغفرة تشمل كلّ زائرٍ دون اعتبارٍ لحاله، فكأنك تتجاهل أنّ الله لا يعبث بحكمته، ولا يُخالف سُنَنه التي وضعها لعباده.

أما قولك: إنّ هذه المغفرة تعني أنّ الإنسان يصبح حرًّا في فعل ما يشاء بعد الزيارة، فذاك من أغرب ما يُتصوَّر؛ إذ لا ملازمة بين مغفرة الذنوب الماضية، وبين إطلاق العِنان للإنسان في المستقبل! فإنّ الله إذا غفر لعبده، فإنما يطهِّره من ذنوبه السابقة، لا أنه يعطيه صكًّا مفتوحًا للمعاصي القادمة، وإلّا لكان الدِّين هزلًا، وكان الحساب عبثًا، وكان الجزاء لغوًا، وهذا ما لا يقوله مسلمٌ موحِّد. بل إنّ مَن تاب توبةً صادقةً، وعاد بعدها إلى الذنب، عاد إلى دائرةِ الحساب، وما كان له أنْ يحتجّ بالمغفرة السابقة، فإنّ ذلك جهلٌ بحقيقة العدل الإلهيّ، وخلْطٌ بين العفو عن الماضي، والإذن في المستقبل، وحاشا أنْ يكون ذلك في دين الله.

ثم تأمَّلْ في جوهر الزيارة، وانظرْ بعين البصيرة، فإنّ الحسين عليه السلام لم يُقتَل ليكون بابًا للفوضى، ولا ليكون منبرًا لمن يتاجر بالمغفرة، بل خرج قائلًا: «إني لم أخرج أشِرًا ولا بطِرًا، ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدِّي»، فكيف يُتصوَّر أنّ زيارته تُصبح ذريعةً للفساد؟! بل إنّ الزيارة الحقّة -كما أرادها أهل البيت عليهم السلام- هي مدرسةٌ تربويّةٌ تهذِّب النفس، وتُحيي

الضمير، وتدفع الزائر إلى التغيير، حتى يكون حسينيًّا في سلوكه، كما هو حسينيٌّ في زيارته.

أما مَن ظنّ أنّ الزيارة مجرَّد شعيرةٍ ظاهريّةٍ تكفي وحدها للنجاة، دون أنْ تصحبها معرفةٌ وعزمٌ على الاستقامة، فهذا إنسانٌ لم يفهم دينَه، ولم يفقهْ معنى ولاية الحسين عليه السلام. فإنّ الولاية ليست مجرَّد لَقلقة لسانٍ، ولا مجرَّد خطواتٍ تُقطَع إلى كربلاء، بل هي التزامٌ بمنهج الحسين عليه السلام، وتحمُّلٌ لرسالته، واتِّباعٌ لدربه، فإذا لم يكن ذلك، فزيارة هذا الإنسان لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

فإنْ كنتَ منصفًا، وألقيت عنك العصبيّة، علمت أنّ إشكالك هذا لا أساسَ له، وأنّ هذه الروايات لا تمنح أحدًا ترخيصًا للمعصية، وإنما تفتح باب الرحمة لمن وعى معناها، وسلك سبيلها، والتزم بشرائطها. فابحثْ عن الحقِّ بإنصافٍ تجدْ أنّ أهل البيت عليهم السلام أحرص الناس على تطهير النفوس، وأبعدهم عن أنْ يكونَ دينُهم مجالًا للعبث، والله المستعان على مَن جهِل حقَّهم أو أراد طمس نورهم.

والحمد لله أوّلا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

جماعة "القُربان" غلوٌّ مدفوعٌ بأجنداتٍ معادية للتشيُّع

السائل: رضا الموسوي

السؤال: هناك مجموعةٌ تطلِق على نفسها (القُربان) ظهرت في محافظة ذي قار، تحث أتْباعها على الانتحار، وتقرِّبهم بذلك باسم الإمام علي عليه السلام! نريد منكم بيانًا واضحًا حول حقيقة هذه الفرقة المنحرفة وموقف التشيُّع منها.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ ظهور جماعة "العللّاهية" أو ما يُسمى بـ"القُربان" في محافظة ذي قار، والتي تدّعي أُلوهيّة أمير المؤمنين عليه السلام وتدعو إلى طقوس الانتحار تحت مسمَّى "التضحية بالنفس"، ليس إلا انحرافًا صارخًا وشركًا بواحًا وضربًا متعمَّدًا لعقيدة الإسلام الخالص.. هذه الفئة الضالّة ليست سوى امتدادٍ للفكر الغالي الذي لعنه أهل البيت عليهم السلام ورفضوه أشدَّ الرفض، فكيف يأتي اليوم أقوامٌ يتجرَّؤون على إحياء هذه العقائد الفاسدة، وينسبونها إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟!

إنّ ادِّعاء الألوهيّة لعليّ عليه السلام ليس حبًّا له، بل هو طعنٌ في إمامته، وإفسادٌ لمقامه العظيم، وتشويهٌ لقِيَمه التي كانت قائمة على التوحيد الخالص.. أ لم يكن عليٌّ عليه السلام هو الذي مزّق أوثان الجاهلية بيديه؟ فكيف يُجعَل هو ذاته إلهًا؟! أ لم يكن هو القائل: «إنما هو إله واحدٌ، ونحن له عابدون»؟ فكيف يأتي أمثال هؤلاء الجهلة ليجعلوه معبودًا من دون الله؟ إنّ الغلوّ في الأئمة كان دائمًا سببًا للضلال؛ ولذلك نجد الإمام الصادق عليه السلام يقول في روايةٍ صريحة -لعَن فيها من ادَّعى الربوبيّة في أمير المؤمنين عليه السلام-: «كان والله أمير المؤمنين عبدًا لله طائعًا، الويل لمن كذَّب علينا»[1]. فهل بعد هذا البيان الواضح يبقى لهؤلاء الغُلاة وجهٌ للدفاع عن بِدعتهم؟!

أما ما تدعو إليه هذه الشِّرذِمة من "القُربان" عبر الانتحار في المناسبات الدينيّة، فهو ليس إلّا بدعةً سوداء تخالف صريح القرآن والعقل والفطرة السليمة. لقد حرَّم الله قتل النفس تحريمًا قاطعًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾[2]، فأيّ "قربانٍ" يتحدَّثون عنه؟! أيّ دينٍ يسمح بهذه الجريمة النكراء؟! إذا كان الإسلامُ قد نهى حتى عن تعريض النفس للهلاك بغير حقٍّ، فكيف يأتون اليوم ليجعلوا القتل والانتحار عبادةً وقربانًا؟!

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٨٦.
(٢) النساء:٢٩-٣٠.

أليست هذه دعوةٌ صريحةٌ إلى إزهاق الأرواح، وتشويهٌ لمفهوم الجهاد والتضحية؟! أيّ تشويهٍ أبشع مِن أنْ يُقلَب الإسلام رأسًا على عقِب، ليصبح قتل النفس طريقًا إلى التقرُّب من الله؟!

إنّ هذه الدعوات ليست مجرَّد انحرافٍ فكريٍّ عابر، بل هي جزءٌ من مخطَّطٍ خبيث لضرب التشيُّع من الداخل، وتصويره على أنه دينُ الانتحار والخُرافة. فمَن الذي يقف وراء نشر هذه العقائد المنحرفة؟ ومَن الذي يغذِّي هذا الفكر الشاذّ بين أبناء الشيعة؟ ولماذا تظهر هذه الجماعات في أوقاتٍ حرجة، حيث تسعى قوى الاستكبار العالميّ إلى تشويه صورة التشيُّع أمام العالم؟ إنّ المستفيد الأول من هذه الجماعة هم أعداء الإسلام الذين يريدون أنْ يحرِّفوا مسيرة أتْباع أهل البيت عليهم السلام ويجعلوا منهم أُضحوكةً للعالم، لكنْ هيهات أنْ يمرّ هذا المخطَّط، فالتشيُّع كانَ وسيبقى مذهب العقل والنصّ، ولن يكون أبدًا مرتعًا للخرافات.

إنّ موقف الأئمة عليهم السلام من الغُلاة كان واضحًا وضوحَ الشمس، فقد قال الإمام الرضا عليه السلام: «اللهمّ مَن زعم أنّا أربابٌ فنحن منه براء، ومَن زعم أنّ إلينا الخلق، وعلينا الرزق، فنحن براء منه كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، اللهمّ إنّا لم ندعُهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذْنا بما يقولون، واغفرْ لنا ما يدّعون، ولا تدعْ على الأرض منهم ديّارًا، إنك إنْ تذرهم يُضلُّوا عبادك، ولا

يلدوا إلا فاجرًا كفّارًا »[١]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الغُلاة شرُّ خلق الله، يصغِّرون عظمة الله، ويدّعون الربوبيّة لعباد الله، واللهِ إنّ الغُلاة شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»[٢]، فهل بعد هذا البيان يبقى عذرٌ لمن يريد أنْ يعبث بعقيدة التشيُّع، ويحوِّلها إلى ساحةٍ للانتحار وعبادة البشر؟!

فالتشيُّع ليس دين عبادةِ الأشخاص، وليس تربةً خصبةً للخرافة والجهل، بل هو امتدادٌ لرسالة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم التي جاءت لتحطِّم الأصنام لا لتصنعَها، ومَن أراد أنْ يلوِّث هذه العقيدة النقيّة فليعلم أنه يقف أمام مدرسةٍ لا تساوم على التوحيد، ولا تقبل بتحريفات الجهَلة والمغرضين.. التشيُّع هو التوحيد الخالص، ولن يكون أبدًا حديقةً خلفيّةً للغُلاة والمهووسين.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) بحار الأنوار، ج٢٥، ص٣٤٥.
(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٦٨٠.

هل يخالِف النبي ﷺ وصاياه في اختيار الصُحبة والزواج؟!

السائل: من الطلبة

السؤال: السلام عليكم، استشكل بعضهم قائلًا: من الغريب عند الشيعة أنهم يعتقدون أنّ النبي ﷺ أوصى أُمته بنصائح هو لم يُطبِّقها، فمثلًا أوصى باختيار الصَّديق والصاحب الجيِّد، ولكنهم يُنكرون عليه اختياره لبعض أصحابه، وكذا الأمر في أنه أوصى باختيار المرأة الصالحة، لكنهم ينكرون عليه أنِ اختار عائشة وحفصة زوجتين له؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ هذا الإشكال ناشئٌ عن خلطٍ واضح بين الإرادة التشريعيّة والإرادة التكوينيّة، وبين الابتلاء الإلهيّ والتزكية النبويّة، وبين الصحبة الجبريّة والصحبة الشرعيّة. ولو أنصف المستشكل لوجد أنّ مقام النبوة أجلّ من أنْ يُنسب إليه التناقض، ولكنْ دعونا نكشف الحقيقة بميزان العقل والنقل.

إنّ النبي ﷺ لا يمكن أنْ يخالف وصيّته للأمة في اختيار الصديق الصالح، لكنّ المشكلة تكمن في الفهم الخاطئ لمعنى الصُّحبة. فوجود أشخاص مع النبي لا يعني تزكيته لهم، وقد نصّ القرآن الكريم على وجود منافقين حوله، فقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[١]. فهل يُقال بعد هذا: إنّ مجرَّد الصحبة دليلٌ على العدالة؟! وكيف يكون الأمر كذلك والنبي ﷺ حذَّر بنفسه من بعض أصحابه الذين سيرتدّون بعده، قائلًا: «لَيردَنَّ عليّ أقوامٌ من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتُهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٢]؟

أما مسألة الزواج، فالزواج النبويّ لم يكن مبنيًّا فقط على معيار الصلاح، بل كانت هناك عوامل سياسيّة واجتماعية، وهذا واضحٌ في تاريخ الأنبياء. فكما تزوّج نوحٌ ولوط بامرأتين غير صالحتين على رغم كونهما نبيَّين، كذلك اقتضت الحكمة الإلهيّة أنْ يتزوّج النبي ببعض النساء لأغراض تتعلَّق بالمصلحة العليا، وليس بمعنى أنهنَّ كنّ خير النساء. بل إنّ الله سبحانه أنذر عائشة وحفصة، ووبّخهما في كتابه العزيز قائلًا: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ

---

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) صحيح البخاري، حديث ٦٥٨٥.

﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[١]. فكيف يُقال بعد هذا: إنّ مجرَّد الزواج يدلُّ على الصلاح؟! وهل كان نوحٌ ولوط غير ملتزمين باختيار الزوجة الصالحة حينما ابتُليا بامرأتين خائنتين؟!

إنّ وجود أفراد حول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يعني تزكيته لهم، فقد جعل الله لكلِّ نبي أعداء من شياطين الإنس والجنِّ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٢]. فهل كان هؤلاء الأعداء جزءًا من اختيار النبيّ أو جزءًا من سُنة الله في الابتلاء؟!

إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف ما يأمر به، ولكنّ بعضهم يخلط بين ما يقع من باب الامتحان الإلهيّ، وبين ما يكون تزكيةً واختيارًا شرعيًّا. ولو تدبَّر المستشكل القرآن والسُّنة بعين البصيرة، لأدرك أنّ النبي لم يكن في موضع تزكيةٍ لكل مَن صاحبه أو تزوَّج بها، بل كانت سُنن الله تجري على وفق الحكمة والابتلاء، وليس على وفق أوهام التزكية المطلقة التي يدّعيها بعضهم.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) التحريم: ٤.
(٢) الأنعام: ١١٢.

حينما يتّخذ المجسِّمة فرعون مرجعًا في العقيدة

السائل: حيدر

السؤال: في سورة القصص الآية ٣٨ قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ هناك من المُجسِّمة مَن طرح عليَّ هذا الإشكال، إلا وهو أنّ الله جلّ وعلا في السماء حسب نصّ الآية (ابنِ لي صرحًا لعلّي اطَّلع إلى إله موسى وإني لأظنُّه من الكاذبين) ما ردُّ جنابكم الكريم على ذلك؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

لا شكّ أنّ هذه الشُّبهة التي يثيرها المجسِّمة تكشف عن جهلِهم بأساليب البيان القرآنيّ، فضلًا عن افتقارهم إلى البصيرة العقليّة التي تميِّز بين المحكَم والمتشابه؛ إذ إنهم يتعاملون مع كلام الله كما لو كان خطابًا بشريًّا خاليًا من البلاغة والاستعارات، غير مدركين أنّ القرآن الكريم أُنزِل بلسانٍ عربيٍّ مبين، وأنه يتضمَّن أساليب بيانيّة لا

يفهمها إلا من كان له قلبٌ أو ألقى السمع، وهو شهيد.

إنّ هذه الآية التي يستدلّون بها، وهي قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[1]، هي في واقع الأمر ليستْ إلا حكايةً عن كلام فرعون الطاغية الذي ادّعى الألوهيّة، وكذّب برسالة نبيّ الله موسى عليه السلام.. فهل يُعقل أنْ يُتّخذ كلامُ فرعون حجةً في التوحيد؟ وهل صار هذا الطاغية إمامًا في العقيدة حتى يُستند إلى أقواله في إثبات الجسميّة لله سبحانه وتعالى؟!

إنَّ هذا لَمِن أعجب العجَب؛ إذ إنّ منطق هؤلاء المجسِّمة يقتضي أنْ نجعل فرعون مرجعًا في معرفة الله تعالى، مع أنّ القرآن الكريم يصفه بالكذب والطغيان والفساد.

وإذا تأمَّلنا في مضمون الآية، وجدنا أنّ فرعون لم يكن جادًّا في بحثه عن الإله، وإنما كان يسخر من دعوة موسى عليه السلام ويحاول تضليل قومِه بعباراتٍ خطابيّةٍ ظاهرها الجدّ، وباطنها السخرية والاستهزاء، فهو الذي قال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وهو الذي أمر هامان ببناء صرحٍ ليطّلع إلى إله موسى عليه السلام، وكأنه يريد أنْ يوهم الناس بأنّ موسى عليه السلام يتحدَّث عن إلهٍ مادّيٍّ يمكن الوصول إليه ببناء برجٍ عالٍ، وعلى رغم

(١) القصص:٣٨.

ذلك فإنّ هؤلاء المجسِّمة - على جهلهم - أخذوا هذه السخرية الفرعونيّة، وجعلوها برهانًا على عقيدتهم الفاسدة في أنّ الله تعالى في السماء!

إنّ هذا الفهم الساذج يتناقض تمامًا مع المبادئ العقليّة التي توجب تنزيه الله سبحانه عن الحدود والجهات؛ إذ لو كان الله سبحانه وتعالى في السماء -كما يزعم هؤلاء- للزم أنْ يكون محدودًا بمكانٍ، وكلّ محدود محتاجٌ إلى من يحدّه، والمحتاج مخلوقٌ، ولا يكون إلهًا.. ولو كان في جهة، للزم أنْ يكون فوقه شيءٌ، وتحته شيء، ولصار محصورًا في نطاقٍ معيَّن، في حين أنّ القرآن الكريم يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1]، مما يدلّ بوضوحٍ على أنه لا يُشبه المخلوقات في شيءٍ، لا في الجسميّة، ولا في المكان، ولا في الحدود.

وإذا كان العقل يقضي بأنَّ الله سبحانه منزّه عن الجهة، فإنّ النقل أيضًا يؤكِّد ذلك، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما كان»[2]، مما يعني أنّ الله سبحانه لم يكن محتاجًا إلى مكانٍ قبل خلْق السماوات والأرض، ولا يحتاج إلى مكانٍ بعدها، وإلا لكان قابلًا للتغيُّر، والتغيُّر من صفات المخلوقين. كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَن زعم أنّ الله في شيءٍ، أو من شيء، أو على شيء فقد أشرك؛ لأنه إنْ كان في

(١) الشورى: ١١.
(٢) الفَرق بين الفِرق، للنوبختي، ص٢٩٢.

شيءٍ فقد حُدَّ، وإنْ كان على شيء فقد حُمِل، وإنْ كان من شيء فقد حُدِث»[١]، وهذا برهانٌ قاطع على أنّ القول بأنّ الله سبحانه في السماء ليس إلّا صورةً من صور الشرك؛ لأنه يستلزم التجسيم، والتجسيم يقتضي المحدوديّة، والمحدوديّة تنافي الألوهية.

إنّ الذي أوقع المجسِّمة في هذا الضلال هو تأثُّرهم بالعقائد الدخيلة، فقد كان اليهود أول من قال: إنّ الله جسم، وأدخلوا هذه الفكرة في تراث بعض الفِرق الإسلاميّة المنحرفة، حتى صار بعضهم -وعلى رأسهم ابن تيمية- يقول: «إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجةً من درج المنبر»[٢]، وإنه يستقرّ فوق العرش كما تستقرّ الأجسام[٣]، غير منتبهين إلى أنهم بذلك ينسبون إلى الله تعالى صفات المخلوقين، ويجعلونه شبيهًا بعباده، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وخلاصة الأمر أنّ هذه الآية الكريمة ليست إلا نقلًا لكلام فرعون المستهزئ، وليست تقريرًا لعقيدةٍ صحيحة، وأنّ القول بأنّ الله سبحانه في السماء قولٌ باطلٌ عقلًا ونقلًا، وهو في حقيقته تكرارٌ لما قاله فرعون قديمًا، وكأنّ المجسِّمة اليوم يعيدون الكلمات نفسها، ولكنْ بثوبٍ جديد.. فالحقّ كلّ الحقّ مع القرآن الكريم الذي ينفي عن الله تعالى التشبيه، ومع العقل الصريح

---

(١) التوحيد، للشيخ الصدوق، ص١٧٨.
(٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص١٢٨، ط. أكاديمية المملكة المغربية.
(٣) يُنظر: العلوّ، للذهبي، ص٢٦٧.

الذي يوجب تنزيهه عن الحدود، ومع أهل البيت عليهم السلام الذين قالوا كلمة الفصل في رفض التجسيم والجهة، وليس مع هؤلاء الذين لم يفهموا من كلام الله سبحانه إلا ما فهِمه فرعون نفسه، وهو الجهل بعظمة الله عزّ وجلّ وحقيقته المطلقة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

فدك بين الشَّهادة المغيَّبة والمؤامرة المكشوفة

السائل: حسام

السؤال: في قضيّة فدك، لماذا لم يشهد الصحابةُ الكبار الذين ناصروا أمير المؤمنين ع من أمثال المقداد وأبي ذر وعمار وغيرهم؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ قضيّة فدك ليست مجرَّد نزاعٍ على أرضٍ أو مال، بل هي اختبارٌ إلهيٌّ، كشَف به الله سبحانه حقيقة النفوس، ومحَّص به القلوب، وأظهَر به المواقف على حقيقتها.. فليست القضيّة في عدم شهادة المقداد وأبي ذرّ وعمار وغيرهم، بل القضيّة في أصل الانحراف الذي ضرب الأمة بعد رحيل رسول الله ﷺ؛ ذلك الانحراف الذي بدأ باغتصاب الخلافة، فكان اغتصاب فدك أَحد لوازمه، إذ إنّ مَن لم يتورَّع عن إقصاء الوصيّ المنصوص عليه من رسول الله ﷺ لا يتورَّع عن ظلم ابنته.

وأما عدم شهادة هؤلاء الصَّفوة من الصحابة، فلا يُتصوَّر أنْ يكون عن جهلٍ أو ضعفٍ، بل هو امتثالٌ لحكمةٍ إلهيّةٍ تتعلَّق بتقدير الموقف وتهيئة الأرضيّة لمستقبل الصراع بين الحقّ والباطل.. إذ إنّ هؤلاء النجباء كانوا يعلمون أنّ البيعة قد أُخِذت بالقهر، وأنّ القوم قد أصرّوا على ما دبّروه مسبقًا، فما كان لهم أنْ يشهدوا في مقامٍ لا يُراد فيه الحقّ، بل يُراد فيه التلاعب بالأحكام وشرعنة الظلم.

ثم إنّ شهادة الزهراء عليها السلام بنفسها حجّةٌ قائمةٌ على الخلق أجمعين، فهي الصِّدِّيقة الكبرى، التي يرضى اللهُ لرضاها، ويغضب لغضبها، ومقامها فوق مقام كلِّ الصحابة، فكيف يُطلَب بعد شهادتها شهادة غيرها؟ وهل بعد شهادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُطلَب دليلٌ آخر؟!

ولكنّ القوم لم يكونوا ليقبلوا حتى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصِنوه ووصيُّه، فكيف يقبلون شهادة أصحابه المخلصين؟ إنهم لم ينظروا إلى البرهان ولا إلى العدل، بل نظروا إلى ما يُثبِّت سلطانهم، ويبرِّر استئثارهم بفيء المسلمين، فلو شهدت الأرضُ والسماء لما قبِلوا؛ إذ إنهم لم يكونوا في مقام البحث عن الحقِّ، بل كانوا في مقام طمس معالمه وإخماد نوره.

وما كان من هؤلاء الصَّفوة إلا أنْ ثبتوا على نصرة أمير المؤمنين عليه السلام في مواضع أخرى، ولم يدَّخروا أنفسهم في سبيل الدفاع عن الولاية الإلهيّة، فقدّم بعضهم أرواحَهم قربانًا لهذا المبدأ، كما

صنع عمار يوم صفّين، وكما صنع أبو ذر في غربته، وكما بقي المقداد شامخًا لا يتزحزح عن ولائه.

إذن، فدك لم تكن مجرَّد أرض، بل كانت رايةً إلهيّةً فضح الله تعالى بها القوم، وجعلها ميزانًا يُعرَف به المُحقُّ من المُبطل، وأما شهادة هؤلاء الصحابة، فعدمُها لم يكن نقصًا في موقفهم، بل كان جزءًا من التدبير الإلهيّ في كشف نفاق القوم الذين لم يكن ليحجزهم عن ظلم فاطمة عليها السلام شهادة أَحد، وإنْ شهدت لها السماوات والأرض.. وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

التفاضل بين السيدة زينب وأبي الفضل العبّاس وعليّ الأكبر عليهم السلام

السائل: الشيخ حسين آل حمدي

السؤال: هذه أربعةُ أسئلة:

١ - هل سيِّدنا ومولانا المعظَّم عليّ الأكبر معصومٌ؟ وما الدليل على عصمته من الآيات القرآنيّة والروايات الشريفة؟ وهل هناك كلمات للعلماء الأعلام، صرَّحوا فيها بعصمته؟

٢ - ما الفرق بين العصمة والإمامة؟ وهل هناك ملازمةٌ بينهما؟ وأيُّهما أعلى رتبةً، الإمام أم الإمامة؟

٣ - هل يوجد تفاضلٌ فيما بين السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليّ وأبي الفضل العباس وعلي الأكبر عليهم السلام؟ بمعنى أنه أيّهما أعلى رتبةً؟

٤ - وهل آية التطهير شاملةٌ لهم؟ وما الدليل على ذلك؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

عليّ الأكبر عليه السلام لم يثبُت كونُه معصومًا بالعصمة المصطلحة التي هي شأنُ الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ولكنْ لا شك في أنه كان من

أطهر الناس وأقربِهم إلى الله وأعلاهم مقامًا في الطاعة والعبوديّة واليقين، ويكفي في بيان منزلته ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام حينما قال: «اللهم اشهدْ أنه قد برَز إليهم غلامٌ أشبه الناس خَلقًا وخُلقًا ومنطقًا برسولك»، وهذا يدلّ بوضوحٍ على كماله العظيم؛ إذ لا يكون أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأوصاف إلّا مَن كان في منتهى الطهارة والقداسة، ولقد أشار بعض العلماء إلى أنّ عليّ الأكبر عليه السلام قد بلغ مقام العصمة المكتسبة، بمعنى أنه تجلّى في أرفع مراتب التقوى والإيمان، ظاهرًا وباطنًا، ناشئًا عن طهر روحه وصفاء سريرته وتمام معرفته بالله سبحانه وإنْ لم يكن من المعصومين المنصوص عليهم.

أما الفرق بين العصمة والإمامة، فالعصمة هي ملَكةٌ نفسانيّة يتلطَّف بها الله على أوليائه، فلا يقع منهم خطأ ولا زلٌّ اختيارًا، والإمامة منصبٌ إلهيّ يقتضي أنْ يكون الحامل له معصومًا؛ لأنّ الإمام هادٍ بأمر الله سبحانه، ومن كان كذلك فلا يمكن أنْ يكون عُرضة للخطأ أو السهو؛ ولهذا فإنّ العصمة لا تقتضي الإمامة، فقد يكون الإنسانُ معصومًا، وليس إمامًا، كما هو حالُ الزهراء عليها السلام، ولكنّ الإمامة تقتضي العصمة؛ لأنّ الإمام خليفة الله في الأرض ومكلَّفٌ بهداية الأمة، ولا يمكن أنْ يُتَصوَّر في حقِّه الخطأ أو الزلل، وإلا لانتفى كونُه إمامًا.

ومن هنا فإنّ رتبة الإمام أعلى من رتبة الإمامة؛ لأن الإمام

-على أنه شخصٌ- يحمل كمالات نفسانيّة تجعله أهلًا لهذا المنصب، بينما الإمامة وظيفةٌ تأتي تبَعًا لتلك الكمالات.

أما التفاضُل بين السيدة زينب وأبي الفضل العبّاس وعليّ الأكبر عليهم السلام، فلا شكّ في أنّ لكلٍّ منهم مقامًا عظيمًا عند الله سبحانه، لكنّ النصوص الشريفة تدلّ على أنّ السيدة زينب عليها السلام كانت في مرتبة العصمة المكتسَبة، وعلمها كان لدُنِّيًّا كما وصفها الإمامُ زين العابدين عليه السلام بقوله: «أنتِ عالمةٌ غير معلَّمة»، وهذا يدلّ على بلوغها درجةً من الكمال لا يصل إليها إلّا من كان في أعلى مراتب الأولياء.. أما أبو الفضل العبّاس عليه السلام، فقد وصفه المعصوم بقوله: «كان عنده بصيرةٌ نافذة»، وقد بلغ مقامًا عظيمًا في التضحيّة والوفاء، لكنْ لم يرِدْ نصٌّ صريحٌ يدل على أنه في درجة السيدة زينب عليها السلام نفسها. وعلي الأكبر عليه السلام كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه لم يرِدْ ما يدلُّ على كونه في مرتبةٍ أعلى من السيدة زينب أو العباس عليهما السلام.. لذا فإنّ الظاهر من مجموع الروايات أنّ السيدة زينب عليها السلام في المرتبة الأعلى، يليها أبو الفضل العباس، ثم عليّ الأكبر عليهما السلام.

أما بالنسبة لآية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، فقد جاءت في سياق بيان الاصطفاء الإلهيّ الخاصّ بمن شملهم التطهير الإلهيّ

(١) الأحزاب:٣٣.

الكامل. وقد وردت الروايات المتواترة، التي رواها الفريقان، بأنّ هذه الآية نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليّ وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام. وهذا يدلّ دلالةً واضحةً على أنّ التطهير الوارد فيها هو تطهيرٌ مخصوصٌ، يُخرِجهم عن أيِّ رجس، سواء كان رجسَ الذنب أو رجس الشكِّ والشُّبهة، مما يجعلهم في مقامِ العصمة الإلهيّة المقرَّرة لهم.

وإذا ما نظرْنا إلى حديث الكساء الذي تواتر مضمونُه، فإنّ اقتصاره على الخمسة الطاهرين لا يعني نفيَه عن بقيّة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، بل إنّ دلالة حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين تؤكِّد امتداد هذه الطهارة والعصمة إلى جميع الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام. فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إني تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يرِدا عليَّ الحوض»[1]. وهذا الحديث يُثبِت بما لا يدَع مجالاً للشكِّ أنّ عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملازمةٌ للقرآن في الهداية والطهارة وعدم الافتراق عنه حتى يوم القيامة.

أما من حيث الطهارة العامّة، فإنّ ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته قد يكونون مشمولين بها من باب الدلالة الالتزاميّة، أيْ إنهم وإنْ لم يكونوا داخلين في مفهوم التطهير الخاصِّ الوارد في الآية،

(١) مسند أحمد، ج٣، ص١٤.

إلّا أنّهم بحكم انتسابهم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وللبيت الطاهر قد بلغوا درجة من الطهارة والاستقامة تؤهِّلهم للدخول في المفهوم الواسع لها، وقد أشار إلى ذلك بعضُ العلماء في تفسيرهم لهذه الآية المباركة. ولكنّ هذا لا يجعلهم في مقام العصمة المطلقة التي اختصّ بها الأئمة المعصومون الاثنا عشر عليهم السلام على وفق الدلائل القطعيّة والروايات المتواترة.

وخلاصة القول أنّ عليّ الأكبر عليه السلام لم تثبُت له العصمة المطلقة، لكنه بلغ مقامًا عظيمًا من الطهارة، وأنّ الإمامة تقتضي العصمة، ولكنّ العصمة لا تقتضي الإمامة، وأنّ السيدة زينب عليها السلام هي الأعلى مقامًا بين العباس وعليّ الأكبر عليهما السلام، وأنّ آية التطهير خاصّة بأهل الكساء، لكنها تشملهم بمعناها العام؛ لأنهم من أهل الطهارة والولاية.

والحمد لله أوّلًا وآخرا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

القرآنُ وأهل البيت هما السبيل إلى معرفة الدين الإلهيِّ الحقّ

السائل: السيد

السؤال: هل الإسلام جاء لجميع البشر أو لأُمةٍ معيَّنة؟ وإذا كان قد جاء لكل البشر فلماذا تركَّز في الغالب في المناطق العربيّة؟ وماذا عن باقي البشر في الكرة الأرضيّة هل جاءهم نذيرٌ أو رسول؟ وما هي أديان البشر قبل الإسلام؟

مع جزيل الشكر لكم؛ لأن هذا السؤال قد أتعبني، وجعلني أفكِّر، وأقول: هل نحن على دين الحقّ من بين كلِّ البشر في الأرض؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ الدين الذي جاء به النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو الدين الخاتم الذي ارتضاه الله لعباده، وهو الحجّة الباقية على أهل الأرض إلى يوم القيامة، وهو الميثاق الذي لا يقبل اللهُ من أحدٍ دينًا غيره؛ إذ يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[1]، ويقول:

(١) آل عمران:١٩.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١]. فليس الإسلامُ بدينِ أمةٍ واحدةٍ، ولا برسالةٍ محصورةٍ في قومٍ دون غيرهم، بل هو دينُ الله الذي بعث به نبيَّه ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٢].

وأما ما يُقال عن أنّ الإسلام قد انطلق من الجزيرة العربية، وانتشارُه كان أبطأ في بعض الأُمم، فهذا ليس دليلًا على أنه دين العرب فقط، بل هو أمرٌ يرتبط بالحكمة الإلهيّة والتدرُّج في نشر الحقّ، تمامًا كما أنّ بعثة الأنبياء السابقين كانت في مناطق معيَّنة، لكنّ ذلك لم يكنْ يعني أنّ دعوتهم محصورةٌ بتلك المناطق. فإنّ الله يختار موضع بدايةِ رسالاته على وفق علمه المطلق وحكمته البالغة، وقد شاء أنْ تكون مكّة هي مهد الإسلام؛ لأنّها كانت مركزًا للعرب، ومنطلقًا لنشر الرسالة عالميًّا؛ إذ لم يكن للعرب في ذلك العصر دولةٌ تحكمهم، بل كانوا قبائل متفرِّقة، فإذا استقام فيهم الحقّ، انطلقت الدعوة إلى العالم بأسره، وهذا ما حصل بالفعل، حيث خرج الإسلامُ من الجزيرة ليصل إلى فارس والروم والهند والصين وإفريقيا وأوروبا خلال عقودٍ قليلة، بل إنّ دعوة النبيّ ﷺ نفسها لم تقتصر على العرب، فقد أَرسَل الرسل إلى الملوك في أنحاء الأرض، يدعوهم إلى الإسلام، فبعث إلى كسرى وقيصر

(١) آل عمران: ٨٥.
(٢) سبأ: ٢٨.

والمقوقس وملوك الحبشة واليمن وغيرهم، مما يدلّ على أنّ الرسالة كانتْ منذ بدايتها رسالةً عالميّةً.

وأما الأمّم التي لم يصلها الإسلام مباشرةً في بداياته، فإنّ الله لم يتركْها بلا حجّة، إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[١]، ويقول: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٢]، فكلُّ أمةٍ من الأُمم قد جاءها نذيرٌ في زمانها، غير أنّ الرسالات السابقة كانت مؤقَّتة، وجاء الإسلام، فنسخها، وجعل اللهُ سبحانه حجَّته به على العالمين إلى يوم القيامة.

ومن هنا، فإنّ ما كان عليه البشر قبل الإسلام يتفاوت، فمنهم مَن كان على بقايا تعاليم الأنبياء السابقين، كالنصارى واليهود، غير أنّ كتبهم تعرّضتْ للتحريف والتبديل، فلم تعُدْ تمثِّل الدين الإلهيَّ الحقيقي. ومنهم من ضلّ في الوثنيّة وعبادة الأصنام والأوهام، كعبَدة النار في فارس، وعبدة الأوثان في الهند، وغيرهم من الأُمَم التي غاب عنها نور التوحيد الحقّ.

وإذا كان البعض يتساءل: كيف نكون نحن على الحقِّ مِن بين كلِّ هذه الأديان والأُمم؟ فإنّ الجواب ليس في كثرة الأتْباع أو قلَّتهم، وإنما في البرهان والدليل، فإنّ الله سبحانه لم يترك الخلق في ظُلمة، بل أقام عليهم الحجّة بالعقل والوحي، وجعل

(١) النحل:٣٦.
(٢) فاطر:٢٤.

دلائل الإسلام واضحةً لكلِّ من أراد الحقَّ، فمن تأمَّل في القرآن الكريم، ودرس تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، وجد أنّ هذا الدين هو الوحيد الذي ينسجم مع الفطرة، ويتوافق مع العقل، ويحقِّق العدل، ويهدي إلى سعادة الدَّارين.

إنّ الإسلام لم يَنتشر بالقوة، ولم يُفرض على الناس بالإجبار، بل دخلت فيه الشعوب أفواجًا؛ لأنها وَجدت فيه الهداية الحقيقيّة، ولو كان دين العرب وحدهم لما ترك الفُرس دينهم، ولما اعتنقه الصينيون والهنود والترك وغيرهم ممن لم يكن لهم صلةٌ بالعرب. ولكنّ الحقيقة الناصعة أنّ الإسلام هو الدين الذي يخاطب الروح والعقل معًا، ويمثِّل الحاجة الفطريّة للإنسان إلى التوحيد والعدل، ومن هنا انتشر، وانتصر، على رغم ما واجهه من التآمر والعِداء.

ولا شكّ أنّ الحقّ يحتاج إلى بصيرةٍ، ولا يُقاس بالدعاية الإعلاميّة ولا بعدد الأتْباع، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]، مما يدلّ على أنّ الحقّ لا يكون مع الكثرة دائمًا، بل مع الحجّة والبرهان، ومَن وفَّقه الله عزّ وجلّ لمعرفة هذا الدين العظيم، فقد نال أعظمَ نعمة وأكرم هبة، وما ذلك إلا بفضل الله واصطفائه لعباده المؤمنين.

فالواجبُ على كلِّ من بلغه الإسلام أنْ يبحث عن الحقّ، ويزِن الأمور بعقله وقلبه، ومن فعل ذلك بإنصافٍ لم يكن له إلّا أنْ

(١) الأنعام:١١٦.

يسلّم بأنَّ الإسلام هو الدين الحقّ، وأنّ محمدًا ﷺ خاتم النبيّين، وأنّ الولاية من بعده لأهل بيته الطاهرين عليهم السلام فهي الحبل المتين الذي لا نجاة إلا بالتمسُّك به.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

الفرقُ بين السَّماوات والأرض الدنيويّة والأُخرويّة

المستشكل: المراقب

الاستشكال: كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، الذي قد يُفهَم منه أنّ خلود أهل الجنّة وأهل النار مشروطٌ ببقاء السماوات والأرض، مع أنّ القرآن يصرّح في مواضعَ أخرى بأنّ السماوات والأرض ستزول يوم القيامة، كما في قوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾؟ وهل هذا يعني أنّ الخلود المذكور ليس أبديًّا، ويتناقض مع الآيات التي تصرِّح بأنّ أهل الجنّة خالدون فيها أبدًا، وأهل النار كذلك؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ الإشكال المطروح حول قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ في الجنَّة والنار، قد يَتوهَّم منه البعض أنّ هذا الخلود محدودٌ بزوال السَّماوات والأرض، مما يجعله متناقضًا مع آياتٍ أخرى تصرِّح بأنّ الخلود أبديٌّ بلا انقطاع،

ولكنّ الحقيقة التي بيّنها أهلُ البيت عليهم السلام تنفي هذا التوهُّم، وتكشف المراد الواقعيّ من الآية.

إنّ المراد بالسماوات والأرض هنا ليس السماوات والأرض الدنيويّة التي ستزول يوم القيامة، وإنما هي سماواتٌ وأرضٌ أخرى تتبدَّل بها هذه العوالم بعد يوم الحساب، كما نصّ القرآن الكريم في قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾، أيْ أنّ هناك نظامًا آخر من السماوات والأرض يختلف عن النظام المشهود في الدُّنيا، وهو الذي يكون في عالمِ الآخرة. فالتعبير "ما دامت السماوات والأرض" في هذه الآية لا يعني أنَّهما سيفنيان في يومٍ ما، وينتهي الخلود معهما، بل المقصود أنّ الخلود مستمرٌّ ببقاء عالم الآخرة الذي لا يعتريه الفَناء.

وأيضًا، فإنّ هذا الأسلوب هو من أساليب العرب في التعبير عن التأبيد والدّوام، كما يقال: «سأعبدُ الله ما دامت السماءُ فوق الأرض» أو «الأرضُ منيرةٌ ما دامت الشمس تشرق»، فلا يعني ذلك أنّ الحكم ينتهي بانتهاء هذه الأشياء، بل هو أسلوبٌ مجازيٌّ يرادُ به الاستمرار. وقد أكَّد أهل البيت عليهم السلام ذلك، ففي رواية عن الإمام السَّجاد عليه السلام أنه قال: «"تبدَّل الأرض غير الأرض" يعني بأرضٍ لم يُكتسَبْ عليها الذنوب، بارزة ليستْ عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرّة»، وقال العلّامة الطباطبائي في الميزان بعد إيراده هذه الرواية: «وفيه دلالةٌ على حدوث الجبال، وكذا

النبات بعد تمام خلقة الأرض»[١]، مما يدلّ بوضوحٍ على أنّ المراد عالمُ الآخرة، الذي هو باقٍ ببقاء أمر الله عز وجل.

وبذلك، يتبيَّن أنّ الآية لا تناقض الآيات التي تصرِّح بالخلود الأبديّ، بل تؤكِّد عليه بأسلوب آخر، فلا انفصالَ بين النصوص القرآنية، بل هي يفسِّر بعضُها بعضًا في ضوء بيانات آل محمد عليهم السلام، الذين هم ترجمان الوحي ومَخزَن العلم.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) تفسير الميزان، للطباطبائي، ج١٢، ص٩١.

تكاملُ النبوّة والإمامة ودور الحسين في حفظ الشريعة

السائل: طالب علم

السؤال: قد تواتر الحديث عن النبي ﷺ: حسينٌ مني، وأنا من حسينٍ. ما اللمسات الإلهيّة والفروق التي أراد رسول الله ﷺ بيانها للأمّة، سيما في عبارة (وأنا من حسينٍ) من هذا الحديث الذي ظاهِرُه المحبّة.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

لقد جاء في الحديث المتواتر عن رسول الله ﷺ قوله: «حسينٌ منّي، وأنا من حسين»، وهذه ليست مجرَّد عبارةٍ تفيد النسبة العائليّة أو القرابة الدنيويّة، بل هي بيانٌ لعقيدة إلهيّة وسُنّة ربانيّة تحكم مسيرة الدين وأهله.. فقول النبيّ ﷺ «حسينٌ مني» واضحٌ في انتماء الإمام الحسين عليه السلام إلى النبيّ نسبًا وروحًا، فهو ابنه وريحانته، ولكنّ قوله «وأنا من حسين» يكشف عن بُعدٍ إلهيٍّ في غاية الأهميّة؛ إذ لا يُتصوَّر أنْ يكون خاتم النبيِّين وسيّد الخلق

متوقِّفًا على شخصٍ آخر إلا إذا كان ذلك الشخص هو الضامن لاستمرار الدين وبقائه خالصًا من التحريف.

إنّ الإسلام -منذ اللحظة التي بُعِث بها النبي ﷺ- كان مستهدفًا من قِبَل قوى النفاق والشرك، التي لم تستطع مواجهة نورِه إلّا عبر التغلغُل في جسده، فدخل النفاق في صفوف المسلمين، وبات التآمُر على الرسالة يجري تحت غطاءِ الخلافة والسلطة الشرعيّة. وبلغَ هذا التآمُر أوجه عندما آلَ الأمر إلى بني أميّة، فوقف يزيدُ بن معاوية ليعلن هدْم الإسلام جهارًا، قائلًا:

«لعبتْ هاشمُ بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل»

وهنا كان لا بدّ من نهضةٍ إلهيّة تحفظ بيضة الدين، وتصون كيان التوحيد.

ولهذا كان الحسين عليه السلام هو الامتحان الإلهيَّ للأمة، وكان دمُه الطاهر هو الذي رسم حدود الولاء الحقيقيّ لرسول الله ﷺ. فإنْ كان رسول الله ﷺ قد أرسى دعائم الإسلام ببعثته، فإنّ الحسين عليه السلام قد حمى هذه الدعائم بدمه يوم الطفِّ؛ ولذلك قال النبيّ ﷺ «وأنا من حسينٍ»، أيْ أنّ بقائي وبقاء ديني واستمرار دعوتي قد تعلّق بالحسين ونهضته. فلو لم تكن كربلاءُ لتحوَّل الإسلامُ إلى صورةٍ مشوَّهة من دينِ بني أُميّة، ولأصبح الدين مجرَّد أداةٍ بيد الطُّغاة والمستبدِّين، كما أرادوا له أنْ يكون.

فالحديث يكشف بوضوح عن تكامل النبوّة والإمامة، فالإمامةُ ليستْ مجرَّد منصبٍ سياسيٍّ أو تشريف اجتماعيّ، بل هي الامتداد الإلهيّ للنبوّة، وهي القوة التي تحفظ الدين من الانحراف بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فالنبيُّ جاء بالشريعة، والأئمةُ عليهم السلام هم حفَظتها؛ ولذلك لم يكن الإمامُ الحسين عليه السلام مجرَّد شخصيّة عظيمة في التاريخ، بل كان هو الميزان الذي يُميَّز به الإسلام الحقيقيُّ من الإسلام المزوَّر، وهو الحاجزُ الذي وقف بين الأمة وبين الانحراف المطلق.

ولهذا نجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يربط بقاء الدين بأحدٍ كما ربطه بالحسين عليه السلام، ولم يجعل الامتحان الأعظم للأمّة إلا في قضيّة الحسين عليه السلام، فمن أحبّ الحسين فقد أحبّ النبيّ، ومن والى الحسينَ فقد والى النبيّ، ومن خذل الحسين فقد خذل النبيّ، ومن قاتل الحسينَ فقد قاتل النبيّ؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الامتحان الذي أظهر حقيقة القلوب، وكشَف عن المنافقين والمتخاذلين، وأسقط كلَّ الأقنعة الزائفة.

إذن، «وأنا من حسين» تعني أنّ رسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد استمدَّت بقاءها من ثورة الحسين عليه السلام، وأنّ الإسلام الذي نؤمِن به اليوم قد خُطَّ بدماء الطفِّ، وأنَّ شهادة الحسين عليه السلام كانت القاعدةَ التي قام عليها صرْح التوحيد بعد أنْ أراد بنو أميّة هدْمَه. فكلُّ مَن يدّعي الإسلام اليوم - وهو لا يعرف حقَّ الإمام الحسين عليه السلام، أو

يتغافل عن ظلامته - فهو في الحقيقة مِن أتْباع إسلامِ يزيد، وليس من أتْباع الإسلام المحمديّ الأصيل.

فالسلامُ على الحسين، وعلى عليٍّ بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين، الذين جعلوا من دمائهم سيفًا يذود عن رسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وجعلوا من تضحياتهم قنديلَ هدايةٍ يضيء طريق السائرين نحو الحقِّ، حتى قيام قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذي سيُكمل مسيرة جدِّه الحسين عليه السلام، ويثأرُ له من أعدائه، ويرفع راية العدل الإلهيّ في الأرض.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

هل الصيامُ قمعٌ أم تهذيبٌ للإنسان؟

المستشكل: مراقب

الاستشكال: الصيامُ يتعارض مع حقوق الإنسان وحريّته في الأكل والشرب.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ دعوى أنّ الصيامَ يتعارض مع حقوق الإنسان وحريّة الأكل والشرب ليستْ إلّا مغالطةً مكشوفةً تكشف عن جهلٍ بحقيقة التشريع الإلهيّ، ومحاولة لضرب الإسلام من زاوية مفاهيم غربيةٍ دخيلة لا تمتُّ إلى الدين بصلةٍ. هذه الشُّبهة تقوم على أساسٍ واهٍ، وهو أنّ الإنسان يمتلك حريّةً مطلقة بلا قيود، وأنّ فرْض أيِّ تكليفٍ عليه يُعدّ قمعًا لحريَّته. وهذا منطقٌ مقلوبٌ؛ لأن الحرية الحقيقية لا تعني التفلّت من كلِّ التكاليف، وإلّا لاعتبرنا كلَّ قانون وضعيٍّ يقيِّد السلوك البشري انتهاكًا للحريّة، فلماذا لا يعترِض هؤلاء على القوانين التي تَفرِض منْع السرقة أو المخدّرات أو الجرائم؟ لماذا

يُسلِّمون بها، ويعُدُّونها ضروريّة للحفاظ على المجتمع، بينما عندما يأتي الأمر إلى التشريع الإلهيِّ، يتحوَّلون إلى دُعاةِ "حريّة"؟

إنّ الإسلام لا يرى الإنسانَ كائنًا ماديًّا يعيش ليأكل، ويشرب، بل هو مخلوقٌ له رسالةٌ وغاية في هذه الدنيا، والصيامُ جزءٌ من تهذيبِه وتربيته على التَّقوى والانضباط. أما من يتذرَّع بحرية الأكل والشرب ليطعن في الصِّيام، فليُخبرْنا: هل تُعدُّ قوانينُ الصحة التي تمنع تناول بعض الأطعمة المضرَّة انتهاكًا للحريّة؟ وهل يُعدُّ الطبيبُ الذي يفرض حِميَةً غذائيّة صارمة على مريضه "قمعيًّا"؛ لأنه منعه من تناول ما يشتهي؟ إذا كان الإنسانُ العاقل يرضى بالتقيُّد بأنظمةٍ غذائيّة لأجل صحته الجسديّة، أ فلا يجبُ من بابٍ أولى أنْ يخضع للتكليف الإلهيِّ الذي هو لصالح روحه وجسدِه معًا؟

ثم إنّ هذا الطعن لا يخلو من خُبْثٍ فكريّ؛ إذ ليس الصيام فرضًا على الجميع بالقوّة، بل هو تكليفٌ لمن آمن بالله، واختار الإسلام دينًا، فمَن التزم بالإسلام فهو ملتزِم بتشريعاته، ومن لم يؤمنْ بالإسلام فليس مخاطَبًا بهذه الفريضة أصلًا. أما أنْ يأتيَ مَن لا يؤمن بالإسلام ليطالِب المسلمين بنبذ صيامهم بحجّة "الحريّة"، فهذا ليس إلا نوعًا من الاستعمار الفكريّ ومحاولة فرض الأيديولوجيات الغربيّة على الأمة الإسلاميّة، وكأنّ الإسلام لا يحقُّ له أنْ يكون له نظامه التشريعيّ المستقلّ.

والمثير للسخريَة أنّ الذين يرفعون شعار الحريّة ضدَّ الصيام،

هم أنفسهم الذين يدافعون عن قوانين تحظُر على المسلمات ارتداء الحجاب في بعض الدُّول، فلماذا تُعدّ الحريّة مقدَّسة عندما تكون ضدّ الشريعة، لكنها تُنتهَك بلا مشكلةٍ عندما تكون لصالح الإسلام؟ هذا الكيل بمكيالين يكشف عن الأهداف الحقيقيّة وراء هذه الشُّبهة، وهي ليستْ سوى حربٍ فكريّة ضدَّ الإسلام تحت ستار "حقوق الإنسان".

إذن، الصيام ليس تقييدًا للحريّة، بل هو اختبارٌ حقيقيّ للإنسان: هل هو عبدٌ لهواه وشهَواته، أو عبدٌ لله ملتزِمٌ بأوامره ونواهيه؟ وهذه هي الحريّة الحقيقيّة التي يفهمها أهل البصيرة، وليست الحريّة الزائفة التي يريدها أهل الغفلة والانحراف الفكريّ.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

شهر رمضانَ ثورةٌ على الشَّهوات والجهاد ضدَّ الهوى

السؤال: ما ردُّكم على تصوير الإعلام الغربيّ لشهر رمضان على أنه وقتٌ لكسل المسلمين.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ تصوير الإعلام الغربيّ لشهر رمضان على أنه شهرُ الكسل والخمول ليس مجرَّد طرحٍ عفْويٍّ أو تحليلٍ موضوعيٍّ، بل هو امتدادٌ لحربٍ فكريّةٍ تُشَنّ ضدَّ الإسلام بهدف تفريغه من محتواه العقَديّ وتحجيم تأثيره في نفوس المسلمين. هذه الصورة النمطيّة ليستْ جديدةً، بل تأتي في سياقٍ طويلٍ من التشويه المتعمَّد لكلّ ما يرتبط بالهُوِيّة الإسلاميّة، وخصوصًا العبادات التي تربط الإنسان بالله، وتجعل منه كائنًا يرتقي فوق المادّة، ويعيش في أفقٍ روحيٍّ يسمو به عن الحيوانيّة التي يريدها له النظام المادّي الغربيّ.

إنّ القول بأنّ رمضان شهر الكسل يتنافى مع حقائق التاريخ

والواقع، فالصِّيام لم يكن يومًا عاملًا معطِّلًا للحضارة الإسلاميّة، بل كان محرِّكًا للعزيمة، ودافعًا للعمل والجهاد، وأيّ مراجعة للتاريخ الإسلاميّ تكشف أنَّ أعظم الانتصارات الإسلاميّة وقعت في هذا الشهر المبارك، بدءًا من غزوة بدر الكبرى التي غيّرتْ موازين القوى في الجزيرة العربيّة، وفتْح مكة الذي كان إيذانًا بنهاية الحقبة الجاهليّة، إلى انتصارات المسلمين في الأندلس، ومعركة عين جالوت التي دحَرت التتار. فهل كان أولئك المسلمون الذين صاموا، وخاضوا المعارك الكبرى في التاريخ الإسلاميّ غارقين في الكسل والخمول؟

ثم إنّ هذه الشُّبهة تكشف عن تناقضٍ واضحٍ في الطرح الغربيّ، فالإعلام ذاته الذي يصوّر شهر رمضان بأنه زمنٌ للخمول هو نفسُه الذي يمجِّد الصِّيام المتقطِّع في الأنظمة الصحيّة الحديثة، ويعُدُّه وسيلةً لتحسين الأداء الذهنيّ والجسديّ، بل ويروِّج له على أنه علاجٌ فعّال للسّمنة والأمراض المزمنة. فلماذا يكون الامتناع عن الطّعام لساعات طويلة عملًا صحيًّا إذا كان في سياقٍ دنيويّ، لكنه يصبح دليلًا على التخلُّف والكسل إذا كان في سياقٍ تعبُّدي شرعيّ؟! أ ليس هذا إلا ازدواجيّةً في المعايير تدلُّ على أنَّ المستهدَف ليس الصيامَ ذاته، بل ارتباطه بالإسلام؟!

أمّا إذا كان بعض المسلمين في عصرنا يعانون من سوء الفهم للصيام، ويحوِّلونه إلى موسم كسلٍ وسهرٍ ولهوٍ، فهذه ليستْ

مشكلةً في الإسلام، بل هي مشكلةٌ في الالتزام، تمامًا كما أنّ مَن يدّعون المسيحيّة، ولا يطبّقون تعاليم الإنجيل لا يُعَدّون حجّة على الدين المسيحيّ. إنّ الإسلام واضحٌ في رؤيته للصيام، فهو ليس مجرَّد امتناعٍ عن الطعام، بل هو مجاهدةٌ للنفس، وتزكيةٌ للروح، وتقويةٌ للإرادة؛ ولذا كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهلُ بيته الطاهرون عليهم السلام يرَون في شهر رمضان فرصةً لإحياء الروح وتكريس الجهد في العبادة والعمل والجهاد.

إنّ الغرب الذي يريد تصوير المسلمين على أنهم شعوبٌ عاجزةٌ ومتواكلةٌ، يدرك أنّ في رمضان سرًّا يبعث الحياة في الأمّة، سرًّا يجعل المسلم يراجع حساباته، ويكسر قيود العادة، ويتحرَّر من عبوديّته لشهواته؛ ولذلك يسعَون بكلِّ الطرق إلى تحجيم تأثيرِه عبر الترويج لفكرة أنّ شهر رمضان يعطِّل الإنتاج، وكأنّ الإنتاج عندهم هو القيمة العُليا التي يُقاس بها الإنسان، وكأنّ هدف الإنسانِ في الحياة أنْ يكون مجرَّد آلةٍ استهلاكيّةٍ تعمل بلا روحٍ ولا معنى!

إنّ هذه الدعاية الإعلاميّة ليستْ إلا امتدادًا لمشروعٍ استعماريٍّ فكريٍّ يسعى إلى قتل الروح الإسلاميّة، لكنّ الواقع والتاريخ يكذِّبان هذه الأكاذيب، والمسلمُ الواعي يعرف أنّ شهر رمضان هو شهر العمل لا الكسل، شهرُ العزيمة لا التخاذل، شهرُ الجهاد لا الركون إلى الراحة؛ ولذا سيظلّ هذا الشهر شوكةً في حلق أعداء

الإسلام، مهما حاولوا تشويهَه وتحريف صورته.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

الإجماع الضمنيُّ عند علماء السُّنة على أعلميّة الإمام عليّ عليه السلام

السائل: مرتضى أبو ملك

السؤال: هل اعترف علماء أهل السُّنّة بالإجماع على أعلَميّة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام على سائر الصحابة؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

لقد أقرّ علماءُ أهل السُّنّة -على رغم ما عندهم من تحفّظات- بأعلميّة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على سائر الصحابة، بل صرّح بذلك غيرُ واحدٍ من كبار علمائهم، ومنهم القاضي الإيجي في كتابه المواقف، حيث قال: «وعليٌّ أعلمُ الصحابةِ؛ لأنَّه كان في غايةِ الذكاءِ والحرصِ على التعلُّمِ، ومحمّدٌ صلّى الله عليه وسلم أعلمُ الناسِ وأحرَصُهُم على إرشادِه، وكان في صِغَرِه في حِجرِه، وفي كِبَرِه خَتَنًا له يَدخُلُ عليه كلَّ وقتٍ، وذلك يقتضي بُلُوغَه في العلمِ كلَّ مبلَغٍ. وأمّا أبو بكرٍ فاتَّصلَ بخِدمتِه في كِبَرِه،

وكان يَصِلُ إليه في اليومِ مرّةً أو مرّتَين»[١].

وقد استدلّ القاضي الإيجي بأحاديثَ صحيحةٍ، منها قول رسول الله ﷺ: «أقضاكم عليٌّ»، وهو حديثٌ صحَّحه الألبانيّ في صحيح ابن ماجة[٢]، وصحيح الجامع الصغير[٣]، وسلسلة الأحاديث الصحيحة[٤].

وهذا الحديث نصٌّ في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أعلمُ الصحابة؛ لأنّ القضاء يتطلَّبُ الإحاطةَ بجميعِ العلومِ، فهو عِلمٌ لا يقوم به إلّا من كان عارفًا بدقائقِ الشريعةِ وأحكامِها، ولا يُعارضُ هذا الحديثَ ما وردَ في حقِّ غيره ك«أفرضكم زيدٌ، وأقرؤكم أُبَيٌّ»؛ لأنّ الفقه أشملُ وأعلى من الجزئيّاتِ الفرضيّة أو القراءات.

وقد شهِدَ بهذا أيضًا عمرُ بن الخطّابِ عندما قال: «أقضَانَا عليٌّ»، كما أخرجه البخاري في صحيحه[٥]. وقال المناوي في "فيض القدير": «وأقضَاهم عليٌّ، أي أعرَفُهم بالقضاءِ بأحكامِ الشرعِ، ومعلومٌ أنَّ العلمَ هو مادَّةُ القضاءِ... وأخبارُهُ في هذا البابِ مع عمرَ وغيرِه لا تُحصى»[٦].

---

(١) المواقف، ج٣، ص٦٢٧.
(٢) صحيح ابن ماجة، ج٩، ص٣٤.
(٣) صحيح الجامع الصغير، ج١، ص٢١١.
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم:١٢٢٤.
(٥) صحيح البخاري، ج٥، ص١٤٩.
(٦) فيض القدير، ج١، ص٥٨٨.

بل بلغ الأمر أنّ عمر بن الخطّاب كان يعترفُ صراحةً بأنّ عليًّا عليه السلام هو الملجأ في القضاء، فقال: «لولا عليٌّ لهلكَ عمرُ»(١).

وقد سجّل التأريخ أنَّ الإمام عليه السلام كان بحرًا زاخرًا في مختلفِ العلوم، فقد قال عليه السلام: «لو كُسِرت لي الوسادةُ، ثم جلستُ عليها لقضيتُ بين أهلِ التوراةِ بتوراتِهم، وبين أهلِ الإنجيلِ بإنجيلِهم، وبين أهلِ الزبورِ بزبورِهم، وبينَ أهلِ الفُرقانِ بفرقانِهم. واللهِ، ما من آيةٍ نزلتْ في برٍّ أو بحرٍ أو سهلٍ أو جبلٍ أو ليلٍ أو نهارٍ إلّا وأنا أعلمُ في من نزلتْ، وفي أيِّ شيءٍ نزلتْ»(٢).

وعليه، فإنّ شهادة هؤلاء العلماء، على رغم كونهم من أهل الخلاف، ولكنّ شهادتهم إقرارٌ واضحٌ بأعلميّة أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الصحابة، وهذا الأمرُ لا غرابةَ فيه، فكيف يُقاسُ بحرُ العلمِ بمن هو دونه؟ وكيف يُقارَنُ مَن تربّى في حجرِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وامتلأ قلبُه علمًا وحكمةً بمن لم يكن له تلك المنزلة؟!

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ج٣، ص١١٠٣.
(٢) تفسير الثعلبي، ج١٤، ص٣٣٦.

عليٌّ أقضى الأمّة بلا منازعٍ

المُشْكِل: الشيخ الأزهريّ
الإشكال: حديثُ: "أَقْضَاكُمْ عليٌّ" ليس فيه أنه أقضى من أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما؛ فإنه يقتضي أنه أقضى من المخاطَبين، ولم يَثْبُت كونهما كانا من المخاطَبين، ولا يلزم من كون واحدٍ أقضى من جماعةٍ أنْ يكون أقضى من كلِّ واحدٍ.

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

هذا الزعم مجرَّد تهرُّبٍ مكشوفٍ من الدلالة الواضحة للنصِّ ومحاولةٍ يائسة لتحجيم فضل أمير المؤمنين عليه السلام، على رغم أنّ الحديث جاء بصيغة التفضيل المطلَقة التي لا تقبل التقييد إلا بقرينةٍ، وهي غيرُ موجودة.

فلو كان هناك مَن هو أقضى من عليٍّ عليه السلام لوجب على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يبيِّن ذلك، وإلّا كان الحديث مضلِّلًا، وحاشاه أنْ يقول ما يوهِم السامعين.

وهذه ليست المحاولة الأولى للالتفاف على مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، بل هي جزءٌ من منهجٍ طالما استُعمِل في تحريف الدّلالات أو إنكار الروايات الواضحة، فحينما يقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أقضاكم عليٌّ» من دون استثناء، فمِن أين يأتي البعض ليستثني أبا بكر وعمر بغير دليلٍ؟! أيُّ عقلٍ أو منطقٍ يقبل هذا التلاعُب؟!

ولو سلّمنا لهم بهذا النهج في التأويل لوجب أنْ نقيِّد كلّ الفضائل الواردة بحقِّ الصحابة، ونقول: «إنها لا تشمل إلا بعض المخاطَبين»، وهو ما لا يقول به أحدٌ.

لكنّ الحقيقة التي يخشاها القوم أنّ حديث «أقضاكم عليٌّ» ليس مجرَّد شهادةٍ عابرة، بل هو تأكيدٌ على أعلميّة الإمام عليه السلام في القضاء، والتي لم تقتصر على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، بل أيّدها حتى أولئك الذين يحاولون إنكارها اليوم، فقد نقل أبو بكر بن الخلّال في كتابه "السُّنة" بسنده عن عطاء، أنه قال: «سمعتُ عائشة تقول: عليٌّ أعلم الناس بالسُّنة»[1]، وعائشة ليستْ من محبِّيه، بل كانت في موضع الخصومة معه، ومع ذلك اعترفتْ بعلمه، وهذا يُبطِل كل محاولات التشكيك.

ثم إنّ علم القضاء لا يُختزَل في القدرة على إصدار الأحكام، بل هو قائمٌ على الفقه الدقيق وفهْم أصول الدين والشريعة، فكيف يكون أمير المؤمنين عليه السلام أقضى الأمّة دون أنْ يكون أفقهها؟! هذا

(١) السنة؛ لأبي بكر بن الخلال، ج٢، ص٣٤٣.

تناقضٌ لا يقبله العقل!

ولهذا حينما سُئِل عطاء بن أبي رباح: «أكان أحدٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفقهَ مِن عليّ؟ قال: لا والله ما علمتُه»[١]. فهذا التصريح ليس رأيًا شخصيًّا، بل شهادة تاريخيّة على أفضليَّته المطلقة في الفقه.

وأما عمر بن الخطاب نفسه، فقد أقرَّ بعجزه أمام علم عليٍّ عليه السلام في القضاء، فقال: «أقضانا عليٌّ»[٢]. وإذا كان عمر يعترف بذلك، فمن هؤلاء الذين يريدون أنْ ينكروا اليومَ ما أقرّ به أصحابُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟! هل هم أعلمُ من عمر؟ أو إنهم يدّعون معرفةً لم تكن عند الصحابة أنفسهم؟!

بل إنّ ابن مسعودٍ - وهو أحدُ كبار الفقهاء بين الصحابة - شهِد بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الأعلم بعلم الفرائض، فقال: «أعلمُ أهل المدينة بالفرائض عليٌّ بن أبي طالب»[٣]. والفرائض إحدى أبرز أركان القضاء، فهل يُعقَل أنْ يكون الأعلم بالفرائض، والأعلم بالسنة، والأفقه، ثم لا يكون الأعلم بالقضاء؟! هذه مغالطةٌ لا يقول بها إلا معاندٌ.

وحتى العلماء المحقِّقون من أهل السُّنة لم يستطيعوا إنكار

---

(١) مقتل عليّ، لابن أبي الدنيا، ص٩٢.
(٢) أخبار القضاة، ج١، ص٨٩.
(٣) الاستيعاب، لابن عبد البر، ج١، ص٣٤٠.

هذه الحقيقة، فقد قال الصنعاني في "التنوير شرح الجامع الصغير": «وأنه بابُ مدينته، مَن أتى منه نال مرامَه، وفيه الشهادة العادلة له بالأعلميّة، وقد اتّفق على ذلك المؤالف والمخالف، حتى قيل لعطاء: هل كان أحدٌ من الصحب أفقه من عليّ؟ قال: لا والله»[1]. فأين يذهب المنكرون بعد هذا الإقرار؟ أم إنهم يُصرّون على المكابرة؟

إنّ هذا الإشكال ليس إشكالًا علميًّا، بل هو محاولةٌ بائسةٌ لطمس مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، لكنهم لم ولن يستطيعوا، فقد شهِد له التاريخ، وأقرّ له بذلك حتى خصومه، وإنكار الشمس في وضح النهار لا يزيدُها إلا إشراقًا.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني، ج٤، ص٢٦٥.

الإمامُ عليٌّ عليه السلام بين المحنة الإلهيّة والتمكين الأُخرويّ

المُغالِط: باهر النجار

المُغالَطة: استطاع عليٌّ رضي الله عنه أنْ يُرجِع الشمس، ولم يستطع ارجاع جيش خالِ المؤمنين معاوية، ما أعظمك يا خال!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

هذه مغالطةٌ مكشوفةٌ لا تنطلي إلّا على مَن لم يدرك الفرق بين الفعل الإلهيّ والفعل البشريّ، وبين الحجّة الإلهيّة وسُنن الابتلاء والاختبار.

فحين يُقال: إنّ الإمام عليًّا عليه السلام استطاع أنْ يُرجع الشمس، لكنه لم يستطعْ إرجاع جيش معاوية، فهذه مقارنةٌ باطلةٌ تنطلق من الجهل بحقيقة المعجِزة وحقيقة الإمامة.

المعجزة -في عقيدتنا- ليست فعلًا بشريًّا عاديًّا، بل هي فعلٌ إلهيٌّ يُجريه اللهُ عزّ وجلّ على يد وليِّه، وهي لا ترتبط بالإرادة

البشريّة المعتادة، وإنما تكون حين تقتضي الحكمةُ الإلهيّة إظهار الحجّة.. وإرجاع الشمس للإمام عليٍّ عليه السلام كان تأييدًا إلهيًّا لمقامه، كما كانتْ معجزات الأنبياء إثباتًا لنبوَّتهم، فهي ليستْ خاضعة لقوانين الإرادة البشريّة أو التخطيط السياسيّ.

أما قضيّة عدم إرجاع جيش معاوية فهي ليستْ مسألةَ قدرةٍ شخصيّة، بل مسألة سُننٍ إلهيّة جارية في خَلقه، فالإمامة ليستْ مقامًا لفرض السلطة بالقوة الجبريّة، بل هي مقام الهداية الإلهيّة، ومِن سُنن الله سبحانه في خلقه أنْ يبتلي العباد بالاختيار.. فكما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يُجبِر قريشًا على الإيمان على رغم المعجزات الباهرة، والنبي نوحًا عليه السلام لم يُجبر قومه على ركوب السفينة على رغم تحذيراته، كذلك الإمام عليٌّ عليه السلام لم يكن ليجبِر الأمة على الطاعة؛ لأنه قائمٌ بمقتضى الحكمة الإلهيّة لا بمقتضى منطق الجبر والقهر.

إنما المشكلة كانتْ في إرادة الأمة التي خانت بيعتها، وانحرفت عن الحقِّ، وهذا ما عبّر عنه الإمام عليه السلام بقوله: «لا رأيَ لمن لا يُطاع»[1]، فالمشكلة لم تكن في عدم القدرة، بل في رفض الناس للحقِّ على رغم وضوحه، كما رفضت الأُمَم السابقة أنبياءها على رغم ما أيَّدهم الله تعالى به من آياتٍ ومعجزات.

فما كان لمعاوية أنْ ينتصر إلا بسبب خيانة القوم وتخاذُلهم، وما كان للإمام عليٍّ عليه السلام أنْ يستخدم الإكراه؛ لأن الدين لا يُفرَض بالقوة.

---

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٧٠.

فهذه المغالطة لا تعدو كونها صدًى لمنطق بني أميّة الذين أرادوا قلب الحقائق، فأظهروا الهزيمة العسكريّة كأنها ضَعفٌ في الحجّة، بينما هي في حقيقتها نتيجةٌ طبيعيّة لانحراف الأمة واتّباعها الهوى، كما بيَّن القرآن الكريم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1].

أما بالنسبة لعبارة "خال المؤمنين!" فهي ليست إلا لقبًا زائفًا يُراد منه إعطاء فضيلةٍ لمعاوية بن أبي سفيان من حيث النسب، في حين أنّ الفضائل لا تُكتسب بالقرابة الدنيويّة، بل بالإيمان والعمل الصالح.

فإذا كان معاوية خال المؤمنين؛ لأنه أخٌ لأمِّ المؤمنين أم حبيبة، فهذا لا يعني له أيّ امتيازٍ شرعيّ أو فضيلةٍ دينيّة، إذ لم يجعل الله عزّ وجلّ القرابة معيارًا للتقوى ولا وسيلةً للنجاة، وإلّا لكان أبو لهب عمَّ النبي أولى بالفضل، لكنه في الواقع ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾. ولم تكن قرابة ابنِ نوح له شفاعةً حين قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[2].

ثم إنّ لقب "خال المؤمنين" ليس لقبًا شرعيًّا جاء به القرآن أو السُّنة النبويّة، وإنما هو لقبٌ سياسيٌّ ابتدعته السلطة الأمويّة لغرض الترويج لمكانة معاوية، وإلّا فإنّ مجرَّد النسب لا يُضفي أيَّ

---

(١) الأنعام:١١٦.
(٢) هود:٤٦.

قداسة؛ لأن الفضائل لا تُكتسب بالألقاب، بل بالأعمال.

أما إنْ كان يقصد المغالط أنّ معاوية كان أعظم من أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام لأنه انتصر عسكريًّا، فهذا لا يدلّ على فضلٍ؛ لأن النصر العسكري قد يكون حجّةً على الضلال لا على الهداية، وإلا لوجب القول: إنّ التتار والمغول والاحتلالات الصليبيّة كانوا أهل حقٍّ؛ لأنهم انتصروا في بعض المعارك!

إنما كان انتصار معاوية نتيجة الغدر والخداع، حتى أنه نفسه لم يدّعِ أنه أحقّ بالخلافة لفضيلة دينية، بل قالها صراحةً: «إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم كارهون»[1].

فالحقيقة واضحةٌ لكل مَن لم يُعمِ عينيه التعصُّب، وإنما المغالطة في هذا القول ليست إلا دعايةً أمويّةً قديمة، لا تزال تُرددها الألسُن بلا وعيٍ ولا تدبّر.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج٦، ص١٨٧، تـ. الحوت.

السؤالُ عن فائدة الإمامة بسبب الجهل بحقيقتها

السائل: نور الدين

السؤال: ماذا استفاد المسلمون من إمامة عليٍّ؟ وما الإضافةُ التي أضافها عليٌّ للدين بعد موت النبي؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

هذا السؤال لا يُطرَح إلا ممن يعتقد أنّ الإمامة خاضعةٌ لاجتهاد الناس، فيتصوَّر أنها منصبٌ سياسيّ يُمنح، ويؤخذ على وفق اختيارهم، فيقال عندئذ: ما فائدةُ إمامة مَن اخترناه؟

أما إذا كانت الإمامة جعلًا إلهيًّا، كما هو مقتضى الضرورة الدينيّة والعقلية، فإنّ السؤال عن فائدتها يصبح تحاكمًا إلى هوى النفس؛ لأن الله سبحانه لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون.

إنّ مَن يثير هذا الإشكال قد غابتْ عنه حقيقة الإمامة وموقعها في الدين، فظنّ أنّ الخلافة مجرَّد سياسةٍ دنيويّة، بينما الإمامة هي

الامتداد الحقيقيّ للنبوة، وهي اللطف الإلهيّ الذي لا يُتصوَّر حفظ الدين بدونه. فمن ظنّ أنّ الإسلام يمكن أن يبقى بغير إمامٍ معصوم، فهو إما جاهل بمبادئ الإسلام أو أنه متعمِّد للمكابرة، متغافلٌ عن النتائج الكارثيّة التي حلّت بالأمة بعد إقصاء الإمام الحقّ.

ولأن الله سبحانه لا يترك دينه بلا حافظ، فقد شاء أنْ لا تكون الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا قائدٍ معصوم، بل عيّن وصيًّا له كما جرت سنّة الله عزّ وجلّ مع أنبيائه جميعًا، فلا يوجد نبيٌّ إلّا وله وصيٌّ يحفظ شريعته من التحريف، وقد نصّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام نصًّا صريحًا يوم الغدير بقوله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه».

ولأن هذا التنصيب لم يكن قولًا عابرًا أو موقفًا ظرفيًّا، بل كان إبلاغًا إلهيًّا لا مجال للشك فيه، فقد شهد كثيرٌ من علماء أهل السُّنة بدلالة هذا الحديث المتواتر على التنصيب، ومنهم الإمام الغزاليّ الذي قال في كتابه سرّ العالمين ما نصّه: «لكنْ أسفرت الحجّة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خمٍّ باتّفاق الجميع، وهو يقول: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر: بخٍ بخٍ يا أبا الحسن، لقد أصبحتَ مولاي ووليّ كل مؤمن ومؤمنة. فهذا تسليم ورضًا وتحكيم»[1].

وبما أنّ هذا النصّ ثابت ومُقَرٌّ به، فكيف يُتصوَّر أنّ رسول

(١) سر العالمين، للغزالي، ص٤٨٣.

الله ﷺ يُعيِّن من لا فائدة في ولايته؟!

وهل يُمكن أنْ يَجعل النبيُّ ﷺ أمر الأمّة في يد مَن لا أثر له في الدين؟! بل كيف يجرؤ أحدٌ على افتراض أنّ رسول الله ﷺ أخطأ في اختياره أو بالغ في بيانِ شأن عليٍّ عليه السلام، وكأنّ هناك مَن هو أعلم منه بمصلحة الأمّة؟!

إنّ الطعن في فائدة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ليس إلا طعنًا في مشيئة الله وحكمته، ومخالفةً لصريح النصوص النبويّة التي جعلت من ولاية عليٍّ عليه السلام امتدادًا لولاية رسول الله ﷺ، فلا انفكاكَ بين الرسالة والإمامة، ولا استمرارَ للدين إلا بمن جعله الله سبحانه وصيًّا وخليفة وحجّةً على عباده.

ثم إنْ كنتَ تسأل: ما الذي أضافه عليٌّ بعد النبي؟

فإنّ سؤالك هذا يكشف جهلَك بوظيفة الإمامة، ويشي بنظرتك المادّية الضيِّقة التي تفصل الدين عن بُعده الغيبيّ، فالإمامة ليست مجرَّد منصبٍ سياسيّ أو تشريف دنيويّ، بل هي الامتداد الطبيعيّ لخط النبوة، ولا يستقيم الدين إلا بها؛ إذ إنّ الإمام هو الحارس الذي يحفظ الشرع من التحريف، والميزان الذي يحدِّد معالم الحقِّ، والصراط الذي يميِّز الهداية عن الضلال.

ولأنّ الدين لا يُترَك بغير حارسٍ، فلا يمكن لمن يتوهّم إمكانَ ذلك إلا أنْ يكون غافلًا عن النصوص القطعيّة التي نصّ بها النبي

ﷺ على بقاء الهداية بعده مقرونةً بالكتاب والعترة، فقد جاء في حديث الثقلين -المرويّ عن بضعٍ وعشرين صحابيًّا، كما صرّح بذلك ابن حجر الهيتمي في "الصواعق المحرقة"(١)- أنّ النبي ﷺ قال: «إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدًا».

وبما أنّ الضلال لا ينعدم إلا بالتمسُّك بهذين الثقلين معًا، فإنّ افتراض إمكان استقامة الدين بدون إمامة المعصوم لغوٌ يتناقض مع تصريح النبي ﷺ، بل هو طعنٌ في حكمته (عزّ وجل) في جعل الهداية مقترنةً بأهل البيت عليهم السلام. فكما أنّ القرآن هو المصدر التشريعيّ الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإنّ العترة الطاهرة هي الميزان الذي تُعرَف به معانيه، وتُحفَظ حدوده من التأويل الفاسد والتحريف.

وفي ضوء ذلك فإنّ السؤال عن فائدة الإمامة لا يَصدر إلا ممن تجاهل هذه الحقائق أو تعامى عنها عمدًا؛ لأن الإمامة ليست أمرًا اجتهاديًّا ولا اختيارًا بشريًّا، بل هي امتدادٌ للنبوة ومقامٌ جعله الله سبحانه حفظًا للدين وصيانةً للشريعة، ومَن يجهل ذلك فهو واقعٌ في الخطأ نفسه الذي وقع فيه الذين استبدلوا الجعل الإلهيّ بالاختيار البشريّ، فوقعوا في تحريف المفاهيم وضياع الأحكام.

والسؤال هنا: هل يُعقَل أنْ يأمر النبي ﷺ الأمة بالتمسُّك بأمرٍ

(١) الصواعق المحرقة، ص١٣٦.

لا فائدة فيه؟ أو أنك تريد دينًا بلا إمام، فتكون كمن يطلب قرآنًا بلا ناطقٍ، أو جسدًا بلا روح؟

وبعد كلِّ ما ذُكر، فإنني أقول: إنك حين تسأل عن فائدة إمامة عليٍّ عليه السلام، فإنما تسأل عن فائدة النور في الظلام، وفائدة الصراط في الطريق، وفائدة الميزان في العدل، ولكنّك إنْ لم ترَ النور، فهذه مشكلتك لا مشكلة النور!

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

إحراق الغُلاة بين الدَّسّ التاريخيّ ومحاولة تشويه مقام العصمة

السؤال: هل حقًّا أنّ الإمام عليًّا أحرق بعض الأشخاص عندما تولّى الخلافة؟ وما رأيكم في هذا القول المنسوب للإمام عليّ؟ وقد ورد عن مصادر الشيعة أنفسهم، ومنهم الكشّي:

إني إذا أبصرتُ أمرًا منكرًا أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرًا؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ ما يُنقل من أخبارٍ تتحدَّث عن قيام أمير المؤمنين عليه السلام بحرق بعض الأشخاص لا يمكن الاعتمادُ عليها لعدّة جهات:

أولًا: معارضتُها بروايات أخرى، مما يدلّ على اضطرابها وعدم ثبوتها.

ثانيًا: ضعْف أسانيدها وافتقارُها إلى الحجّيّة الشرعيّة.

أما الجهة الأولى فإنّ بعض الأخبار الواردة في كتب الرجال،

كـ"رجال الكشي"، تذكر أنّ الإمام عليه السلام قام بحرق عبد الله بن سبأ[١]، في حين أنّ رواياتٍ أخرى تؤكّد أنّه لم يقمْ بذلك، بل نفاه، كما نقل ذلك النوبختي في "فِرق الشيعة"[٢]. والشهرستاني في "المِلَل والنحل"[٣]. بل إنّ هناك اتجاهًا رصينًا بين الباحثين من علماء الشيعة وأهل السُّنة يذهب إلى أنّ شخصية ابن سبأ مختلقة، ومن القائلين بذلك السيد مرتضى العسكري، والدكتور طه حسين، والدكتور عبد العزيز الهلالي، مما يعني أنّ هذه الأخبار لا يصحّ التعويلُ عليها.

أما الجهة الثانية، فإنّ ما نُقِل من رواياتٍ تدّعي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قام بإحراق بعض الغُلاة الذين ادّعوا أُلوهيّته، كما في "رجال الكشي"، هي رواياتٌ ضعيفةٌ سندًا؛ إذ تضمّ عبد الله بن شريك، وهو راوٍ لم تَثبُت وثاقته عند أهل التحقيق، فلا يصحّ الاستدلال بها في المسائل التاريخيّة فضلًا عن العقَديّة.

وإنّ بعض الأخبار التي وردت في كتب الفضائل والمناقب، كخبر سجود سبعين رجلًا من الزُّطِّ لأمير المؤمنين عليه السلام وادّعائهم ألوهيّته، ثم قيام الإمام عليه السلام بحفر الأخاديد وإحراقهم، والتي نُسب فيها إليه قوله:

إني إذا أبصرتُ أمرًا منكرًا أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرًا

---

(١) معرفة الرجال، ج١، ص٣٢٣.
(٢) فرق الشيعة، ص٢٢.
(٣) الملل والنحل، ج١، ص١٧٤.

فإنّ هذه الأخبار لا تعدو كونها مرويّات مرسلة، لا حجَّة فيها، ولا يمكن الاستناد إليها في تقرير حادثةٍ تاريخيّة بهذه القيمة.

أما ما يَستدِلّ به بعض المخالفين من رواياتهم، كحديث عِكرمة عن الإمام عليٍّ عليه السلام في صحيح البخاري، قال: «حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة، قال: أُتِي عليٌّ رضي الله عنه بزنادقةٍ، فأحرقَهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقْهم، لنهْي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تعذِّبوا بعذاب الله". ولقتلتُهم، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بدَّل دينه فاقتلوه"»[1]، فهذه الرواية مردودةٌ؛ لأنها ليست حجَّةً على الشيعة، إضافة إلى ضعف سندها، إذ إنّ عكرمة متّهم بالكذب على ابن عباس، كما أقرّ بذلك علماء أهل السُّنة، ومنهم ابن حجر والذهبي وابن الجوزيّ[2]، فلا يمكن الاحتجاجُ بها في المقام.

ومن هنا، يتبيَّن أنّ جميع الأخبار التي تزعم قيامَ أمير المؤمنين عليه السلام بتحريق أشخاصٍ لا تصل إلى حدّ الحجِّيّة، فهي إما متناقضة، أو ضعيفةٌ سندًا، أو من مرويّات الخصوم الذين سعَوا إلى تشويه سيرة الإمام عليه السلام وإلصاق ما لا يليق بمقامه الشريف.

والخلاصة أنّ هذه الروايات لا يمكن الاستدلالُ بها في

(١) صحيح البخاري، ج٦، ص٢٥٣٧، ح٦٥٢٤، تـ. البغا.
(٢) الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي، ج٢، ص١٨٢؛ سِيرَ أعلام النبلاء، للذهبي، ج٥، ص٢٢، ط. الرسالة؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، ج٧، ص٢٦٧.

المقام، لا من حيث السَّند ولا من حيث الدّلالة، وما هي إلا جزءٌ من سلسلة الأكاذيب التي نُسِجتْ حول سيرة أمير المؤمنين عليه السلام بُغية التشويش على مقامه الإلهيّ، ولكنْ هيهات أنْ تنطليَ هذه الدسائس على أهل البصيرة واليقين.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

استحالةُ رؤية الله وتفسير طلب موسى عليه السلام

السائل: الأزهري

السؤال: إذا كانت رؤيةُ الله تعالى مستحيلةً، فكيف يطلبها نبيّ الله موسى عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾؟ أ لا يُعدُّ هذا دليلًا على أنّ معرفته بالله لم تكن مكتملة منذ البداية، بل تطوَّرت تدريجيًّا؟ وإذا كان في أعلى درجات القرب من الله، فكيف لم يكنْ على يقينٍ باستحالة رؤيته منذ بداية نبوّته؟ وهل يمكن أنْ تمرَّ معرفة الأنبياء بالله بمراحل من التكامل العقَديّ؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ قضيّة طلب الرؤية من قِبَل نبيّ الله موسى عليه السلام هي من المسائل التي حاول بعضهم توظيفها لإثبات إمكان رؤية الله تعالى، أو للتشكيك في كمال المعرفة عندَ الأنبياء، غير أنّ التأمُّل في الآيات القرآنيّة والرجوع إلى النصوص المعتبَرة، يكشف بوضوحٍ زيف هذه الادّعاءات، ويُثبِت أنّ موسى عليه السلام كان على يقينٍ

مطلقٍ باستحالة رؤية الله تعالى، وأنّ ما صدر منه لم يكنْ نابعًا من جهلٍ أو نقص في المعرفة، بل كان له بُعدٌ تربويّ وحجاجيّ يتعلّق بإقناع بني إسرائيل.

فالقرآن الكريم بيّنَ أنّ طلب رؤية الله تعالى كان شعارًا مرفوعًا من قِبَل بني إسرائيل، الذين قالوا لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[1]، وهذه النبرة العجولة والجدليّة كانت ملازِمةً لهم في معظم مواقفهم مع أنبيائهم، مما اضطُرَّ موسى عليه السلام إلى اتّخاذ منهجٍ عمليٍّ في تفنيد شبُهاتهم وإبطال استكبارهم.

وعليه، فإنّ طلب موسى عليه السلام الرؤيةَ لم يكن عن حاجةٍ شخصيّة، بل كان استجابةً لما ألحّ عليه قومه فيه، بُغية إقامة الحجّة عليهم. وقد ورد في حديثِ الإمام الرضا عليه السلام أنّ موسى عليه السلام سأل اللهَ ذلك امتثالًا لأمرِه تعالى حين قال له: «يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم»[2]، فكان ذلك استدراجًا لبني إسرائيل كي يدركوا بأنفسهم استحالةَ رؤية الله سبحانه، وهو ما حصل حين صُعِقوا لعظم ما طلبوه.

أما مَن زعَم أنّ موسى عليه السلام قد طلب الرؤية لنفسه، مدَّعيًا أنّ مفهوم التجسيم أو استحالة الرؤية لم يكن قد تجذَّر في وجدانه بعدُ، فهو لا يفقه مقام النبوّة، ولا يدرك ضرورة أنْ يكون

---

(١) البقرة: ٥٥.

(٢) بحار الأنوار، للعلاّمة المجلسي، ج١٣، ص٢١٨.

النبيّ على أكمل درجات المعرفة بتوحيد الله وصفاته. فكيف يمكن لنبيٍّ مرسل، بل لنبيٍّ من أولي العزم أنْ يكون جاهلًا بهذه المسألة البديهيّة في التوحيد؟ وكيف يُعقَل أنّ موسى عليه السلام الذي جادل فرعون في ألوهيّة الله عزّ وجلّ، ودعا قومَه إلى التوحيد الخالص، لم يكن قد أدرك بعدُ أنّ الله سبحانه ليس بجسمٍ، ولا تدركه الأبصار؟!

إنّ هذا الزعم يتناقض مع صريح القرآن، حيث نجد أنّ موسى عليه السلام عندما سمع نداء الله تعالى من الشجرة ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، لم يطلب رؤية مَن يخاطبه، ولم يستفسر عن مكانه أو هيأته، مما يدلّ على أنه كان على يقينٍ مطلقٍ بأنّ الله سبحانه ليس من سنخ الموجودات التي تدركها الأبصار. فكيف يُقال بعد ذلك: إنه لم يكنْ قد استوعب بعدُ استحالة رؤية الله عزّ وجلّ؟!

إذن، موسى عليه السلام كانَ عالمًا بحقائق التوحيد منذ البداية، وإنّ طلبه للرؤية كان فقط لإظهار خطأ بني إسرائيل وإثبات بُطلان دعواهم بالتجربة العمليّة.. وهكذا، فإنّ المحاولة الفاشلة لتصوير موسى عليه السلام وكأنه كان يكتسب العقيدة بنحوٍ تدريجيٍّ، لا تصمد أمام النصوص القرآنيّة والأحاديث الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وهي محاولةٌ لترويج فكرة أنّ الأنبياء غير معصومين، وهي النظريةُ نفسها التي فتحت البابَ أمام التشكيك في رسول الله

(١) القصص: ٣٠.

ﷺ من قِبَل بعض المذاهب، بزعم أنه مرّ بمراحل من الشك قبل أنْ يتيقَّن من نبوّته!

والحقّ الذي لا يماري فيه عاقلٌ منصِفٌ أنّ النبوة اصطفاءٌ من الله عزّ وجلّ لمن كان في أعلى درجات الطهارة الفكريّة والنفسيّة، وأنّ النبيّ لا يمرُّ بمراحل من الشك أو الغفلة عن التوحيد الخالص، بل هو منذ البداية معصومٌ عن كلِّ خطأ في العقيدة أو العمل، وهذا ما ينطبق تمامًا على نبيِّ الله موسى عليه السلام.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

الفرقةُ الناجية وتمييز أهل الحقِّ في بحر التفرُّق

السائل: ولاء الزيدي

السؤال: هل يمكن الاستدلال بقول الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ على أنّ القلة دائمًا هم أهل الحقّ؟ وإذا كان الحقُّ مع القلّة، فكيف نميّز أنّ الشيعة الإمامية هم القلة التي على الحقّ، وليس الزيديّة أو النصيريّة، خصوصًا أنّ لكل فرقةٍ حججها وأتباعها؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ الاستدلال بآية ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ على صحّة القلّة مطلقًا استدلالٌ مغلوط ينمُّ عن خلطٍ بين المفاهيم، فهذه الآية الشريفة لا تعني أنّ كل قلّةٍ على حقٍّ، وإنما تبيِّن أنّ أهل الشكر والإيمان الحقيقيّ في كل زمان هم قلةٌ، في مقابل كثرة الجاحدين والمكذِّبين، كما هو ديدن الأمم السابقة، فلو كان مجرَّد القلة دليلًا على الحقِّ لصحّ الاحتجاج لكل فئةٍ قليلة بأنها على الحقِّ ولو كانت ضالّة، وهذا باطلٌ بالضرورة.

أما مسألة كون الشيعة الإماميّة هم القلة الذين على الحقّ، وليس الزيديّة أو النُّصيريّة، فهذا يتبيَّن بالبرهان القاطع والدليل الساطع الذي لا يدفعه إلا معاندٌ مكابر، فإنّ الحقَّ لا يُقاس بعدد الأتْباع، بل بمعيار الحُجج والبراهين التي وضعها الله سبحانه ورسوله الأعظم، وقد أتمَّ اللهُ عزّ وجل حجَّته على العباد بحديث الثقلين المتواتر، الذي جاء فيه: «إني تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدًا».

فالفرق بين المذاهب واضحٌ لكل مَن أنصف، فإنّ "الزيدية" خالفوا النصوص القطعيّة التي أوجبت اتِّباع الإمام المنصوص عليه من قِبَل الله ورسوله، وابتدعوا القول بشرط الخروج بالسيف، وهو شرطٌ لا دليل عليه، بل هو اجتهادٌ خاطئ عارض النصوص؛ ولذلك لم يصمد مذهبُهم أمام العصور، بل تلاشى أغلبه، ولم يبقَ منه إلا القليل، وانتهى إلى مذاهب تبتعد عن خطِّ أهل البيت عليهم السلام.

وأما النُّصيريّة فحالهم أشهر من أنْ يُعرَّف، فقد خلطوا تعاليم أهل البيت عليهم السلام بغلوٍّ فاضح وتأويلات منحرفة، أفضتْ بهم إلى عقائد لا تمتُّ إلى الإسلام بصلةٍ. فهل يُقاس مَن التزم بالنهج النبويّ، وأخَذ بالدليل الشرعيّ بمن ابتدع، وحرّف؟!

ومن هذا المنطلق فإنّ مذهب الحقّ واضحٌ كالشمس في رائعة النهار، ولا ينكره إلّا من طَبع الله على قلبه، فالميزان هو اتِّباع أهل البيت عليهم السلام الذين نصّبهم الله أئمةً للخلق، وجعلهم

سفن النجاة، وأوجب الرجوع إليهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فمن تنكّب عن هذا الطريق، فهو هالكٌ لا محالة، وإنْ كثر أتْباعه أو قلّوا، فإنّ الكثرة لا تُغني عن الحقِّ شيئًا، والعاقل من يتّبع الدليل، لا من ينقاد للهوى والتعصُّب الأعمى..

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

رواية الفيل الطائر ومغالطات الغُلاة

السائل: مجموعةٌ من طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف

السؤال: وجدنا أنّ هناك مَن يُضعِّف سند هذه الرواية، لكنه في الوقت ذاته يُؤكِّد صحة متنها ومضمونها، مُستدلًّا بأنّ معاجز أهل البيت عليهم السلام لا تُحصى، وأنّ هذه الرواية ليست إلا واحدةً منها. فهل يصحّ هذا المنهج في التعاطي مع الروايات؟ وما هو الحكم الصحيح بشأن هذه الرواية (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أحمد بن منصور الزيادي، قال: حدثنا شاذان بن عمر، قال: حدثنا مُرّة بن قبيصة بن عبد الحميد، قال: قال لي جابر بن يزيد الجعفي: رأيت مولاي الباقر عليه السلام وقد صنع فيلًا من طينٍ، فركبه، وطار في الهواء حتى ذهب إلى مكة، ورجع عليه فلم أصدِّق ذلك منه حتى رأيت الباقر عليه السلام، فقلت له: أخبرَني جابرٌ عنك بكذا وكذا؟ فصنع مثله، فركب، وحملني معه إلى مكة، وردَّني)، نرجو بيان الحقيقة في ذلك.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

هذه الرواية واهيةٌ لا أصلَ لها، ساقطةٌ سندًا ومتروكةٌ متنًا، لا يَعبأ بها إلّا مَن اغترَّ بأكاذيب الغُلاة الذين دسّوا على أئمة الهدى عليهم السلام ما أساء إليهم، ونسبوا إليهم ما هم منه براءٌ، وقد قالَ مولانا أميرُ المؤمنين عليه السلام: «إنّ في أيدي الناس حقًّا وباطلًا، وصِدقًا وكذبًا، وناسخًا ومنسوخًا، وعامًّا وخاصًّا، ومحكمًا ومتشابهًا، وحفظًا ووهْمًا، وقد كُذِب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتى قام خطيبًا، فقال: كَثُرَتْ عَلَيَّ الكَذَّابَةُ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1]. فكيف نقبل بحديثٍ كهذا دون تمحيصٍ ولا تدقيق؟!

أما من حيث السَّند، فهو أوهى من بيت العنكبوت، فالرواة فيه إما مجهولون لا يُعرَف حالهم، وإما ضعفاءُ لا يُعوَّل عليهم. فأما "أحمد بن منصور الزيادي" فغير مذكورٍ في كتب الرجال، وأما "شاذان بن عمر" فمجهولُ العين والحال، وأما "مُرّة بن قبيصة بن عبد الحميد" فلا يُعرَف له ذِكرٌ في كتب التراجم، وأما "جابر بن يزيد الجعفي" فمع جلالته وثقته، فقد أُلصقت باسمه رواياتٌ دسّها الغُلاة، وأهل البيت عليهم السلام نهَونا عن قبول كل ما نُقِل عنهم بلا غربلة. فإنْ كان السند بهذه الدرجة من السقوط، فأيّ اعتبارٍ يبقى لهذه الرواية؟!

وأما متنها فهو أغرب من الخيال، وأبعد عن الحقِّ من السراب؛ إذ كيف يُعقل أنّ الإمام الباقر عليه السلام، وهو سيِّد الفقهاء

(١) الكافي، ج١، ص٦٢.

وإمام العلم والدين، يقوم بعملٍ لا فائدة فيه ولا حجّة، بل أقرب إلى أفعال المشعوذين -حاشاه- الذين يسعَون وراء الإثارة والإبهار؟! ومَن ذا الذي رأى فيلًا يطير؟! لا في الواقع، ولا حتى في أساطير السابقين؟! بل حتى لو فرضْنا "تنزُّلًا" أنّ الإمام أراد صنْع مخلوقٍ طائر، أ لم يكن من الحكمة أنْ يكون طائرًا حقيقيًّا كالنسور والعقبان، أو حتى العنقاء التي ذكرتْها الأساطير؟! أ ليس اختيار الفيل -وهو أضخم ما يكون من الحيوانات البريّة- دلالةً على ضعف واضع الرواية، وعدم تدبُّره في كذبه؟!

ثم إنّ المعجزة لا تكون لهوًا ولا عبثًا، وإنما تكون لإقامة الحجّة وإظهار الحقّ، فهل كان الإمام الباقر عليه السلام بحاجةٍ إلى هذه الحيلة -وحاشاه- حتى يُثبِت إمامته؟! أ لم تكن علومُه التي ملأت الآفاق، وحجَجه التي أسكتتِ الخصوم، كافيةً ليهتدي مَن طلب الحقّ؟! ومتى كان حجَج الله -حاشاهم- يستخدمون هذه الأفعال التي لا تليق إلا بأهل الشعوذة والدجَل؟! وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، قولهم: «ما أتاك عنّا فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالفه فاطرحوه»[1]، فأين في القرآن أو سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام مثلُ هذه الرواية العجيبة؟!

ثم إنّ هذه الرواية لا تخفى على المتأمِّل أنها من مختلَقات

(١) الاستبصار، للشيخ الطوسي، ج٣، ص١٥٨.

الغُلاة الذين لم يكتفوا بالكذب على الأئمة عليهم السلام، بل نسبوا إليهم ما لا يقبله عقلٌ ولا شرعٌ، وجعلوهم في منزلة الأساطير، حتى بلغ بهم الغلوّ إلى أنْ ينسبوا لهم ما يخرج عن حدود الإمامة التي رسمها الله لهم.

وأين هذه الرواية من ميزان أهل البيت عليهم السلام في تمحيص الأخبار؟! فقد أمرونا بعرض كلِّ حديثٍ على كتاب الله وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تقبلوا علينا حديثًا إلا ما وافق القرآن والسُّنّة، أو تجدون معه شاهدًا من أحاديثنا المتقدِّمة... فاتّقوا الله، ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربِّنا تعالى، وسُنّة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله»[1]، فكيف تُقبَل روايةٌ لم يعضدها كتاب ولا سُنّة، بل تتعارض مع مقام الإمامة وما عُرِف عنهم عليهم السلام من الحكمة والبرهان؟! أليستْ هذه إلا من دسائس الغُلاة الذين حذّر الأئمة عليهم السلام من أكاذيبهم، وأَمروا بلعنهم والبراءة منهم؟!

ومن العجَب أنْ يدّعي مدّعٍ أنّ هذه الرواية مما لا يخالف كتاب الله سبحانه، فنقول له: إنّ القرآن لم يذكر من المعجزات إلّا ما كان بغاية الحكمة، ولم يكن فيه شيءٌ من هذا النمط، بل حتى المعجزات الخارقة التي وقعت على أيدي الأنبياء لم تكن استعراضيّة ولا عبثيّة، كما في معجزة عيسى عليه السلام حين صنع الطير من الطين بإذن الله، فكان الهدفُ منها إقامة الحجّة على بني إسرائيل الذين طلبوا آيةً

(١) اختيار معرفة الرجال، للشيخ الطوسي، ج٢، ص٤٨٩.

لإثبات نبوّته، وأما هذه الرواية، فليس فيها إقامة حجّةٍ، ولا تحقيق غايةٍ شرعيّة، ولا هدفٌ واضحٌ سوى العبث والاستعراض، مما يدلّ على بطلانها وكونها من أكاذيب القصّاصين.

فالرواية إذن مردودةٌ سندًا، مهجورةٌ متنًا، وهي ليستْ إلا كذبةً صريحةً على الإمام الباقر عليه السلام، وضعَها مَن لا خلاق له في دين الله، وهي مما يُضحِك العاقل، ويثير السخرية، فكيف نحتجُّ بها أو نقبلها؟! حاشا الإمام الباقر عليه السلام أنْ تُلصَق به هذه الترَّهات، وحاشا لشيعة أهل البيت أنْ يُخدعوا بمثل هذا الكذب البارد!

وقد يعترض بعضُهم قائلًا: صحيحٌ أنّ الفيل بطبيعته لا يطير، ولكنّ المعجزة تقتضي خرق العادة وإظهار القدرة الإلهيّة في جعل غير الممكن ممكنًا، فكلما كانت المعجزة أعجب وأغرب، كانت دلالتها على عظمة صاحبها أقوى، ومن ذلك أنْ يَجعل الإمامُ عليه السلام ما ليس بطائرٍ قادرًا على الطيران؛ لإظهار عظيمِ منزلته وإقامة الحجّة على الناس!!

فأقول: هذا الكلام إنما يصدر عمّن لم يفقهْ حقيقة المعجزة، ولم يدركْ سُنن الله في حُجَجه على عباده، فإنّ المعجزة لم تكن يومًا عبثًا ولا استعراضًا لخوارق الأمور، بل جرتْ سنّةُ الله في أنْ تكون على وفق الحكمة الإلهيّة ولإقامة الحجّة، لا لمجرَّد الإتيان بما يُعدّ أعجب وأغرب. فليس المدار في المعجزة على كونها مما لم يُعهَد، بل على أنْ تكون دالّةً على الحقّ، مقرِّرةً للحجّة، لا أنْ تكون

على نحوٍ يوقِع في التخييل والتشبيه بأفعال السحَرة والمشعوذين، وحاشا أئمة الهدى عليهم السلام أنْ يكون لهم شأنٌ في ذلك.

أما القول بأنّ المعجزة إنما تُظهر قوتها بكونها في غير الممكنات، فقولٌ مردودٌ يُبطِله النقل والعقل، فإنّ الله سبحانه لم يُجرِ المعجزات على ما ينافي سُننه وحكمته، بل على ما يكون أصلح للحجّة وأبلغ في إقامة البرهان، فحينما كانت معجزةُ موسى عليه السلام قلبَ العصا إلى حيّة، فإنما كان ذلك؛ لأن قومه برعوا في السحر، فجاءتهم المعجزة على وفق ما يفهمونه، وحينما بُعِث عيسى عليه السلام بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، كان ذلك لأن قومه اشتغلوا بالطبّ، فجاءتهم المعجزة فيما يدركون عجزهم عنه، ولم يكن شيءٌ من ذلك لمجرَّد الإثارة أو الإبهار.

ثم إنّ المعترِض بقوله: هذا يُلزِم بما هو أشنع؛ إذ لو صحَّ ما قال، لكان الأولى أنْ يَجعل الله تعالى معجزات أنبيائه جميعًا في قلْب الجبال ذهبًا، أو جعل البحار نارًا، أو إنطاق الجمادات بلا حاجةٍ، وهذا ما لم يكن؛ لأنه لا حكمة فيه، فكيف يُنسَب إلى الإمام الباقر عليه السلام أنه جاء بمعجزةٍ لا تقوم بها حجّة، ولا تُقيم برهانًا، ولا يُدرَك فيها غايةٌ إلا التشبيه بأفعال الدجّالين وأصحاب الشعوذة؟!

فأيّ عقلٍ سليمٍ يسلّم بهذه الرواية الواهية التي لم تَثبُت سندًا، ولا استقامتْ مضمونًا، ولا انسجمتْ مع نهج أهل البيت

عليهم السلام ؟! وهل هي إلا من تخليط الغُلاة الذين أرادوا تشويه صورة الأئمة عليهم السلام بنسبتهم إلى ما لا يليق بمقام العصمة والولاية؟!

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

حقيقةُ الاتّهام الباطل حول قتل الحسين عليه السلام وأصل التشيُّع

المدَّعي: فاروق الكن

الدعوى: الرافضة تزعم زورًا وبهتانًا حبّ آل البيت، وهي أولُ من خانهم، وقَتلت الحسين سيِّد شباب أهل الجنة رضي الله عنه، وأرضاه، ثم دخلت الفلسفة في التشيُّع.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

يا للعجب من هذا الافتراء الذي لا سنَد له إلا الكذِب والتضليل! كيفَ تُلصِق تهمة قتل الإمام الحسين عليه السلام بشيعته، وهم الذين قُتِلوا معه على رمضاءِ كربلاء، أو سُجِنوا، وقُتِلوا بعد الواقعة؛ لأنهم بقُوا أوفياء له ولنهجه؟ أ ليس الذين خذلوه هم أهل الكوفةِ ممن استمالتْهم تهديدات بني أُميّة ووعودهم بالمال والجاه، فانقلبوا على عهدِهم؟ وهل هؤلاء يُعدّون من شيعته لمجرَّد أنهم أرسلوا له الرسائل، ثم انقلبوا بعد أنْ قَبَض عليهم عبيد الله بن زياد بالترهيب والترغيب؟ بل الشيعة الحقيقيون

هم أمثال مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وحبيب بن مظاهر، وأصحاب الحسين عليه السلام الذين ضَربوا أروع أمثلة الوفاء حتى آخر نفسٍ؟!

ثم إنّ المنطق يأبى هذا الاتّهام؛ إذ كيف يتصوَّر عاقلٌ أنّ شيعة الحسين عليه السلام يقتلونه، ثم يبكون عليه قرنًا بعد قرنٍ، ويُحيون ذكراه بكلِّ ما يملكون من دموعٍ ودماء، بل ويجعلون قضيّته محور ولائهم وبراءتهم؟ أ ليس هذا كمن يتّهم أهل بدرٍ بأنهم أنصار قريش، أو يزعم أنّ أتْباع المسيح هم من صلبوه؟ إنّ هذه الفرية لا تنطلي إلا على من أعمتْه العصبيّة العمياء، وأورثتْه الجهالةُ التاريخيّة عجزًا عن التفريق بين الموالين حقًّا والمتخاذلين الذين لم يكونوا في يومٍ من الأيام جزءًا من التشيُّع الأصيل.

قد يُقال: إنّ بكاء الشيعة على الحسين عليه السلام ليس ولاءً له، بل هو ندمٌ على خيانتهم له يوم كربلاء، إذ تخلَّوا عنه، وأسلموه لأعدائه، ثم أفاقوا متأخِّرًا، فصاروا يندبون فعْلتهم بالبكاء والعزاء، وكأنهم يحاولون التكفير عن جريمتهم عبر إقامة المآتم وإحياء ذكراه!

وهذه مغالطةٌ مكشوفةٌ لا تقوم على أيِّ دليلٍ، بل هي مجرَّد محاولةٍ يائسة لتشويه الحقيقة وقلْب الواقع! كيف يُقال: إنّ بكاء الشيعة ندَمٌ على خيانتهم، وهم الذين حفظوا ذكر الإمام الحسين عليه السلام وأحيَوا مصيبته جيلًا بعد جيلٍ، وورِثوا الولاء له من آبائهم

وأجدادهم الذين قُتلوا معه أو عُذِّبوا في سبيله؟! أيّ عقلٍ يقبل أنْ يبكي الخائنُ قرنًا بعد قرن، ويُحيي ذكرى خيانته بنفسه، ويعلّم أبناءه الولاء للحسين عليه السلام والبراءة من قاتليه؟!

إذا كان البكاء ندمًا، فمن المنطقيّ أنْ يكون هؤلاء الباكون قد كفّوا عن البكاء بعد أجيالٍ؛ لأن التائب عن الجريمة لا يبقى يكرِّر ندبه على فعْلته، بل يتوب عنها، ويسعى لمحو أثرها، أما الشيعة فإنهم لم يكتفوا بالبكاء، بل جعلوا من مصيبة الحسين عليه السلام قضيّة عقَديّة، يُعلنون فيها البراءة من القتَلة، والولاء المطلق لآل البيت عليهم السلام، ويُحيون ذكراه بقلوبٍ دامية، ومسيرات مليونيّة، بل ويضحّون بأنفسهم في سبيل قضيّة الحسين عليه السلام ونهجه.

ثم لننظر إلى الواقع، مَن الذي يُبرِّئ يزيد وبني أُميّة اليوم؟ ومَن الذي يُحاول أنْ يُلقيّ التهمة على الشيعة؟ إنّ الذين يُطلقون هذه التّهمة هم أنفسهم الذين يدافعون عن قتَلة الإمام الحسين عليه السلام أو يُهوِّنون من جريمتهم، بينما الشيعة هم الذين يلعنون يزيد وأتْباعه، ويبرَؤون إلى الله من فِعلهم، ويتّخذون من الحسين عليه السلام قدوة في مقارعة الظلم والطغيان.

أما أهل الكوفة الذين خذلوا الإمامَ الحسين عليه السلام، فإنهم بعد مقتله انتفضوا في حركة التوابين، وقاتلوا جيش بني أُميّة حتى استُشهدوا عن بكرة أبيهم، وظهر من بعدهم المختار الثقفيّ الذي أخذ بثأر الحسين عليه السلام، فقتل قتَلة الإمام عليه السلام واحدًا تلو الآخر،

فهل هؤلاء هم مَن يمكن وصفهم بالخونة؟!

إنّ هذه الشُّبهة لا تعدو كونها محاولةً مكشوفة لقلب الحقائق، فبدلًا من إدانة يزيد وبني أُميّة، يُراد أنْ يُلصَق الإجرام بضحاياهم، ولكنّ الحقيقة تبقى واضحةً كالشمس، وهي أنّ الشيعة هم الذين قدموا الأرواح فداءً للإمام الحسين عليه السلام، والشيعة هم الذين حفظوا قضيّته، والشيعة هم الذين برَّأهم التاريخ، ولو كان الشيعة خونة لكانوا اليوم في صفِّ أعداء الحسين عليه السلام، ولكنهم لا يزالون يردِّدون في كلِّ محفل: يا لثارات الحسين!

وأما ما يُقال عن دخول الفلسفة إلى التشيُّع، فإنْ كان المقصودُ بها التعقُّل والاستدلال، فإنّ التشيع هو الإسلام بعقله وبرهانه، وهو امتدادٌ لمدرسة القرآن والعترة، التي كانتْ وما زالت تحثُّ على النظر العقليّ والتدبُّر، لا التقليد الأعمى والاتِّباع بلا دليل.

وإنْ كان المقصودُ أنّ التشيُّع استورد الفلسفة من الخارج، فإنّ التاريخ يشهد أنّ الخلفاء العباسيين هم الذين ترجموا الفلسفات الأجنبيّة، وأدخلوها في الفكر الإسلامي، بينما بقيتْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام حريصةً على تنقية العقيدة من الشوائب، فلم تأخذْ من الفلسفة إلا ما انسجم مع العقل والنقل الصحيح.

إنّ هذه الادِّعاءات ليست سوى محاولاتٍ يائسة لتشويه الحقيقة الناصعة، فما أشبه حال قائليها بمن يرمي الناس بدائه،

وينسلّ، يفرّون من مواجهة الحقيقة إلى قلبها رأسًا على عقِب، لكنّ الشمس لا تُحجَب بغربال، والتاريخ شاهدٌ لا يُزوَّر، والحقيقة تبقى صامدةً على رغم كل محاولات التشويه والتزييف!

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

الشيعةُ على نهج النبيّ وآله على رغم أنف المعاندين

المدَّعي: هارون الغار

الدَّعوى: مِن خطر الشيعة والتشيُّع أنهم يريدون تبديل الدين وإضلال العالمين، فهم مخالفون لأهل الإسلام والسُّنّة في كل شيءٍ.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين مصابيح الظلام، وهُداة الأنام.

إنّ هذه التّهمة الباطلة التي يرمي بها أعداءُ الحقِّ أتْباعَ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ليست إلا تكرارًا لأسطوانةٍ مشروخةٍ، نُسِجت خيوطُها بأقلام الحقد الدفين، وسُوِّقتْ لعقول عوامّ الناس الذين خدّرتْهم دعاية السلاطين وأرباب السلطة، فراحوا يردِّدونها بلا وعيٍ ولا دليل. فأيُّ تبديل للدين قام به الشيعة؟ وأيّ إضلالٍ للعالمين يدّعون؟! وهل يكون الضلال في التمسُّك بوصيّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي جعل أهل بيتِه قرناء القرآن، وأوصى الأمّة بهم، وأمرَها بالتمسُّك بهم، وجعَلهم سفينة النجاة التي مَن تخلَّف عنها غرِق، وهوى، أو يكون الضلال في التنكُّر لهذه الوصيّة، والجري

وراء الطُّلقاء الذين ما دخلوا الإسلام إلا قسرًا، ثم انقلبوا عليه لما دانتْ لهم الأمور، فحرَّفوا الدين ليوافق أهواءهم، واستبدلوا ولاية الله بسلطة الجبابرة؟!

لقد روتْ مصادر القوم أنفسِهم حديث الثقلين الصحيح الثابت المتواتر المتسالَم عليه، والمرويّ عن بضعٍ وعشرين صحابيًّا، والمحفوظ في السُّنَن والمسانيد، كما صرح بذلك ابن حجر في "الصواعق المحرقة" بقوله: «وقد تواترت الأخبار بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني تاركٌ فيكم ثقلين، كتاب الله وعترتي»[١]. فهذا الحديث الذي رواه جمهور المسلمين، وأقرّ بصحته أعلامهم، يوجب على الأمة جمعاء الأخذ بالثقلين: الكتاب والعترة، وعدم التفريط بهما، لقوله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٢].

فهل يكون الضلال في التمسُّك بهذا الحديث النبويّ والالتزام بأمر رسول الله ﷺ، كما فعل أتْباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟ أو يكون الضلال في الإعراض عن هذه الوصية، والتنكُّب عن طريق آل محمد عليهم السلام، والاستغناء عنهم بروايات الوضّاعين وأحكام فقهاء وعّاظ السلاطين؟ إنّ الضلال كلّ الضلال هو في ترك آل محمد

(١) الصواعق المحرقة، ص١٣٦.
(٢) مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني، رقم الحديث ١٧٢٦ - ٢٤٥٨.

عليهم السلام والارتماء في أحضان الطلقاء وأبنائهم الذين حاربوا الإسلام بالأمس، ثم تزيَّوا بزيِّه اليوم، ولبسوا مسوح الدين، ليتلاعبوا بأحكامه، فيحرِّمون ما أحلَّ الله، ويُحلُّون ما حرَّم، ويجعلونه مطيّةً لسلطتهم، ومبرِّرًا لجرائمهم.

إنْ كان ثمةَ مَن بدَّل الدين، فهم الذين استبدلوا حكم الله بحكم السلاطين، والذين قَتلوا أهل بيت النبي، واستباحوا حرُماتهم، ثم كذبوا على الناس، وادَّعوا أنهم حماة الإسلام! فبأيِّ منطقٍ يُتَّهم الشيعة بتبديل الدين، وهم حمَلة تراث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأمانة أهل بيته عليهم السلام، بينما يُبرَّأ مَن تلاعبوا بالشريعة، وأحلّوا دماء الصالحين، واتّخذوا دين الله لهوًا ولعبًا؟!

ثم إنّ هذه الفرية المزعومة ليست وليدة اليوم، بل هي امتدادٌ لحربٍ طويلة شنّتها قوى الطغيان على خطِّ الإمامة، فقد كان بنو أُمية وبنو العباس هم أول من روّج هذه الأكذوبة؛ لأنهم وجدوا في التشيُّع عقَبة كبرى أمام استبدادهم، فكيف يُتَّهم الشيعة بالخروج عن الإسلام، وهم أتْباع علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عليٌّ مع الحق، والحق مع عليٍّ، يدور معه حيث دار»، وهو حديث رواه الحاكم في "المستدرك"[1]، وغيره من علماء أهل السُّنة، وقال فيه صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا: «يا عليّ من فارقني فارقَ الله، ومن فارقك يا عليّ فارقني»، قال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢٤.

ثقات»[١]؟ فهل يكون الضلال في التمسُّك بعليٍّ الذي لا يفارق الحقَّ، ولا يفارقُه، أو في معاداته والتآمر عليه واغتصاب خلافته؟ بل إنّ الفخر الرازي يقرّ في تفسيره مصرِّحًا: «فقد ثبت بالتواتر: ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: اللهم أدِرِ الحقَّ مع عليّ حيث دار»[٢]. فهل يكون أتْباع عليّ عليه السلام هم الضالين، أو أولئك الذين حادوا عنه، واتّبعوا أعداءه، ثم زيَّفوا التاريخ، ولبَسوا على الناس دينَهم؟

وأما زعمهم بأنّ الشيعة يخالفون أهل الإسلام والسُّنة في كل شيءٍ، فهذه فرية مفضوحةٌ لا تنطلي إلّا على الجاهلين بتاريخ الإسلام. فإنْ كان المقصود بأهل الإسلام مَن بايعوا بني أُمية وبني العباس، وتبِعوا سلاطين الجور، فنَعَم، الشيعة لا يتّفقون مع هؤلاء؛ لأنهم لا يرضون بالظلم، ولا يقرّون الحكم القائم على الغدر والخيانة.

وأما إنْ كان المقصود بالإسلام هو الدين الذي جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ الشيعة أولى الناس به؛ لأنهم حفظوا وصاياه، وتمسَّكوا بأهل بيته الذين أذهب اللهُ عنهم الرجس، وطهَّرهم تطهيرًا، كما نصّ القرآن الكريم.

إنّ الحملة الشعواء على التشيُّع لم تكن يومًا قائمة على منطقٍ

---

(١) يُنظر: مجمع الزوائد، ج٥، ص١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣.
(٢) التفسير الكبير، ج١، ص١٨٠.

أو برهان، وإنما هي تضليل إعلاميٌّ مارسته السلطات الظالمة عبر التاريخ لحرف الناس عن معرفة الحقيقة؛ ولهذا نجد أنّ كلّ من بحث في مصادر الإسلام بتجرُّدٍ وإنصافٍ اهتدى إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام، وأدرك أنّ الحقّ معهم لا مع مَن عادوا عليًّا عليه السلام وسفكوا دماء ذريّته، واستحلوا محارم الله في كربلاء وغيرها من المآسي التي تشهد على انحراف خطِّ السقيفة عن مبادئ الإسلام الحقيقيّة.

فليأتوا بحجَّةٍ واحدة تُثبت أنّ الشيعة بدّلوا الدين، وليفسِّروا لنا كيف يكون اتِّباع مَن أمر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم باتِّباعه خروجًا عن الإسلام؟ أم إنّ المطلوب من المسلمين أنْ ينساقوا وراء من بدَّلوا الدين فعلًا، فجعلوه خادمًا للسلطة، وحوَّلوا الإسلام من رسالةٍ سماوية إلى أداة قمعٍ واستبداد؟ لا والله، بل الحقّ مع عليٍّ، والحقّ مع أتْباع عليّ، ومَن فارقهم فقد فارق الدين، ولو لبِس ألفَ عباءةٍ، وتظاهر بألف صلاة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

تم بحمد الله

المحتويات

المقدمة..... ٥
هل الأخلاق مجرد أوامر إلهية؟..... ٧
المهديُّ المنتظر ونزول عيسى بين الحقيقة والادِّعاء..... ١١
الإمامُ المهديُّ عجل الله تعالى فرجه الشريف بين حقيقة النصِّ ووهْم المشكِّكين..... ١٥
معيّة الصادقين في سورة التوبة ودلالات الصدق في سورتَي
الحشر والحجرات..... ٢٠
وجوبُ معرفة علامات الظهور، إرشادٌ أم إلزام؟..... ٢٤
هل الإسلام يبالغ في توصيف المعاصي؟!..... ٢٧
المِثليّة من التصنيف المرضي إلى الترويج الأيديولوجي:
كيف ولماذا؟..... ٣٠
تقبيل ضريح الحسين عليه السلام ميثاق ولاء وعهدٌ على البقاء مع الحقِّ..... ٣٤
ولادةُ أمير المؤمنين عليه السلام في الثالث عشرَ من رجب، الرواية المتواترة.. ٣٨
زيارة الحسين عليه السلام، بابٌ للتوبة أم ذريعةٌ للمعصية؟..... ٤١
جماعة "القُربان" غلوٌّ مدفوعٌ بأجنداتٍ معادية للتشيُّع..... ٤٥
هل يخالِف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاياه في اختيار الصُّحبة والزواج؟!..... ٤٩

حينما يتّخذ المجسِّمة فرعون مرجعًا في العقيدة..... ٥٢
فدك بين الشَّهادة المغيَّبة والمؤامرة المكشوفة..... ٥٧
التفاضل بين السيدة زينب وأبي الفضل العبّاس وعليّ الأكبر عليهم السلام.... ٦٠
القرآنُ وأهل البيت هما السبيل إلى معرفة الدين الإلهيِّ الحقّ..... ٦٥
الفرقُ بين السَّماوات والأرض الدنيويّة والأُخرويّة..... ٧٠
تكاملُ النبوّة والإمامة ودور الحسين في حفظ الشريعة..... ٧٣
هل الصيامُ قمعٌ أم تهذيبٌ للإنسان؟..... ٧٧
شهر رمضانَ ثورةٌ على الشَّهوات والجهاد ضدَّ الهوى..... ٨٠
الإجماع الضمنيُّ عند علماء السُّنة على أعلميّة الإمام عليّ عليه السلام..... ٨٤
عليٌّ أقضى الأمّة بلا منازعٍ..... ٨٧
الإمامُ عليٌّ عليه السلام بين المحنة الإلهيّة والتمكين الأُخرويّ..... ٩١
السؤالُ عن فائدة الإمامة بسبب الجهل بحقيقتها..... ٩٥
إحراق الغُلاة بين الدَّسِّ التاريخيّ ومحاولة تشويه مقام العصمة..... ١٠٠
استحالةُ رؤية الله وتفسير طلب موسى عليه السلام..... ١٠٤
الفرقةُ الناجية وتمييز أهل الحقِّ في بحر التفرُّق..... ١٠٨
رواية الفيل الطائر ومغالطات الغُلاة..... ١١١
حقيقةُ الاتّهام الباطل حول قتل الحسين عليه السلام وأصل التشيُّع..... ١١٨
الشيعةُ على نهج النبيّ وآله على رغم أنف المعاندين..... ١٢٣